طلعنا عالحريّة

حرية، كرامة، مواطنة

العدد 102

2022 / 1 / 20

مجلة شهرية، سياسية، ثقافية، مستقلة

محاكمة رسلان.. العجز عن الفرح!

افتتاحية العدد بقلم هيثم الحموي

صرت على قناعة بأنه صار من المستحيل أن أفرح لأي حدث كبيراً أو صغيراً متعلق بسوريا منذ منتصف عام 2011، وحتى لو سمعت بسقوط الأسد أو مصرعه الآن فلسوف أجد في نفسي مئة سبب يمنعني من الفرح بذلك الخبر، فضلاً عن أن استبشر به خيراً! ليس السبب في ذلك أنني إنسان (نكدي) ولا أعرف كيف أرى النصف الملآن كما يقولون، بل لأن معظم الأحداث التي مرت علينا كان طعم تناقضاتها مريراً جداً لا يبتلعه عاقل إلا مرغماً. ماذا كان شعوري عندما كانت بعض المناطق تتحرر (أو تسقط كما يحب كل شخص أن يسميها) على/ أو في أيدي جبهة النصرة في الشمال أو جيش الإسلام في ريف دمشق؟ هل أفرح لخروجها من أيدي عصابة الأسد؟ أم أحزن لسقوطها في أيدي عصابات جديدة ستمارس التسلط على المجتمع من جديد؟ ماذا كان شعوري عندما سمعت بتفجير خلية الأزمة؟ هل أفرح بمقتل هؤلاء المجرمين، أم أنتظر برود لأعرف ما وراء الأكمة، ومن قتل من في ذلك التفجير؟ ماذا كان شعوري عندما سمعت بدخول القوات التركية لمنطقة الشمال السوري؟ هل أفرح لأن دخولهم سيخفف القصف الأسدي والروسي على تلك المناطق، بل وربما خروجها نهائياً غير مأسوف عليها من سيادة النظام السوري التي لم تجلب عليها إلا الموت والدمار، أم أحزن لمعرفتي أن دخول الأتراك هدفه الرئيس تمزيق الكيان الكردي، وما سيُبنى على ذلك من ظلم يطال الكرد في تلك المنطقة؟ هل أفرح عندما أسمع بالاستقرار النسبي في أماكن السيادة الكردية؟ أم أحزن لأن هذا الاستقرار كان أيضاً على حساب بعض حقوق العرب في تلك المنطقة؟ ناهيك عن الوجود الأمريكي والأوربي الذي لن يوفر مورداً إلا ابتزه. الأنكى من كل ذلك أن بعض الأحداث المؤلمة في الثورة السورية كانت تعطيني شعوراً إيجابياً غريباً.. هل أنكر أنني شعرت بنوع من التفاؤل عندما علمت باستخدام النظام السوري للسلاح الكيماوي ضدّ أهلنا في الغوطة! لأملي الغبي بأن يقود ذلك إلى ردع دولي عسكري للنظام السوري؟ بل ماذا كان شعوري عندما سمعت بتسليم شهادات الوفاة لكثير من المعتقلين؟ هل حزنت على استشهادهم وفراقهم في هذه الحياة الدنيا، أم ارتحت لعلمي أنهم لم يعيشوا كل تلك السنوات تحت التعذيب الوحشي المستمر، وأنهم لن يعيشوا سنوات مديدة أخرى دون أي أمل في تحريرهم قريباً من أيدي جلاديهم. لا أعرف إن كنت قد استطعت بذكر هذه الأمثلة توضيح عجزي عن السعادة لسماع أي خبر عن سوريا! بل بالأصحّ: لماذا أشعر بشعور "التنميل" الذي عندما يصيب رجلك يتركك محتاراً، هل تثني قدمك أم تمدها، هل تفركها أم تتركها دون لمس؟! كنت أحس دوماً أن كل الأخبار ملغومة، وأنه من الاستحالة أن يأتي أمر جيد علينا نحن السوريين. لم أحزن أبداً لمحاكمة أنور رسلان ولا لتلقيه حكماً بالسجن المؤبد، لأنه بنظري لم يعتذر، ومن لا يعتذر لا يستحق المغفرة، لذلك لم أكترث أبداً لحاله، كما لم أكترث من قبل لحال المجرم صدام حسين لأنه لم يعتذر. لكن هل أستطيع أن أفرح؟ هذا هو السؤال الصعب! فيالسخرية القدر، عندما يكون أول من يحاكم من ضباط المخابرات السورية ضابطاً منشقاً! وفي الوقت الذي يحاكم فيه هذا الضابط، تفكر دول العالم بما فيها أمريكا في كيفية إعادة تأهيل الأسد، أو على الأقل كيف يمكنها ألا تكترث لبقائه عشرين سنة أخرى على رقاب السوريين. هل حقاً أستطيع أن أفرح لحكم يطال ضابطاً مجرماً، فيما يتم في الوقت نفسه التغاضي عن هروب رفعت الأسد إلى سوريا بعد أن عاش حياته في أوروبا متنعماً بأموال السوريين! وحتى لو حاولت قليلاً إسكات آلام هذه التناقضات، والشعور بنوع من الهناء لنيل مجرم عقابه المستحق، تأتي تعليقات السوريين على هذه الأحداث لتبخر آخر أحلامي بهذا الهناء. فكمية الإشادة بهذا الحكم أشعرتني بأنه قد تم الإفراج بعده ولو عن معتقل واحد، وأن دول العالم قررت إيقاف هذه المجزرة المستمرة لأكثر من عقد، وأننا قد بتنا قاب قوسين أو أدنى من فتح قصر المهاجرين. بالمقابل فإن الذين أعطوا الأمر حجمه الحقيقي برأيي لم يسلموا من شخصنة القضية، واستثمارها فرصة للتهجم على بعض منافسيهم، الذين قاموا حسب زعمهم (وقد يكون صحيحاً) بأخطاء كارثية خلال المحاكمة. قالتها العرب قديماً: شر البلية ما يضحك، وكم مر علينا من المضحكات المبكيات في السنوات العشر الأخيرة. لكن أي بلية أشر من بلية تربك الإحساس، وتحبس الدموع في المحاجر، وتحذّر البسمات من أن ترتسم على وجوه قد تعبت من الخذلان.

طلعنا عالحريّة

شهرية ثقافية، اجتماعية، سياسية، تعنى بالشأن السوري

www.freedomraise.net

المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها أولاً ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير

المجلة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد

رئيس التحرير أسامة نصّار

نائب رئيس التحرير ليلى الصفدي

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت

facebook.com/rising4freedom

twitter.com/freedomraise

freedomraise@gmail.com

المدير الإداري	الغلاف	كاريكاتير	أمن رقمي ومحاسبة	زملاء مختطفون في سوريا
معتصم أبو الشامات	سمير خليلي	سمير خليلي / هاني عبّاس	وائل موسى	رزان زيتونة - ناظم حمادي

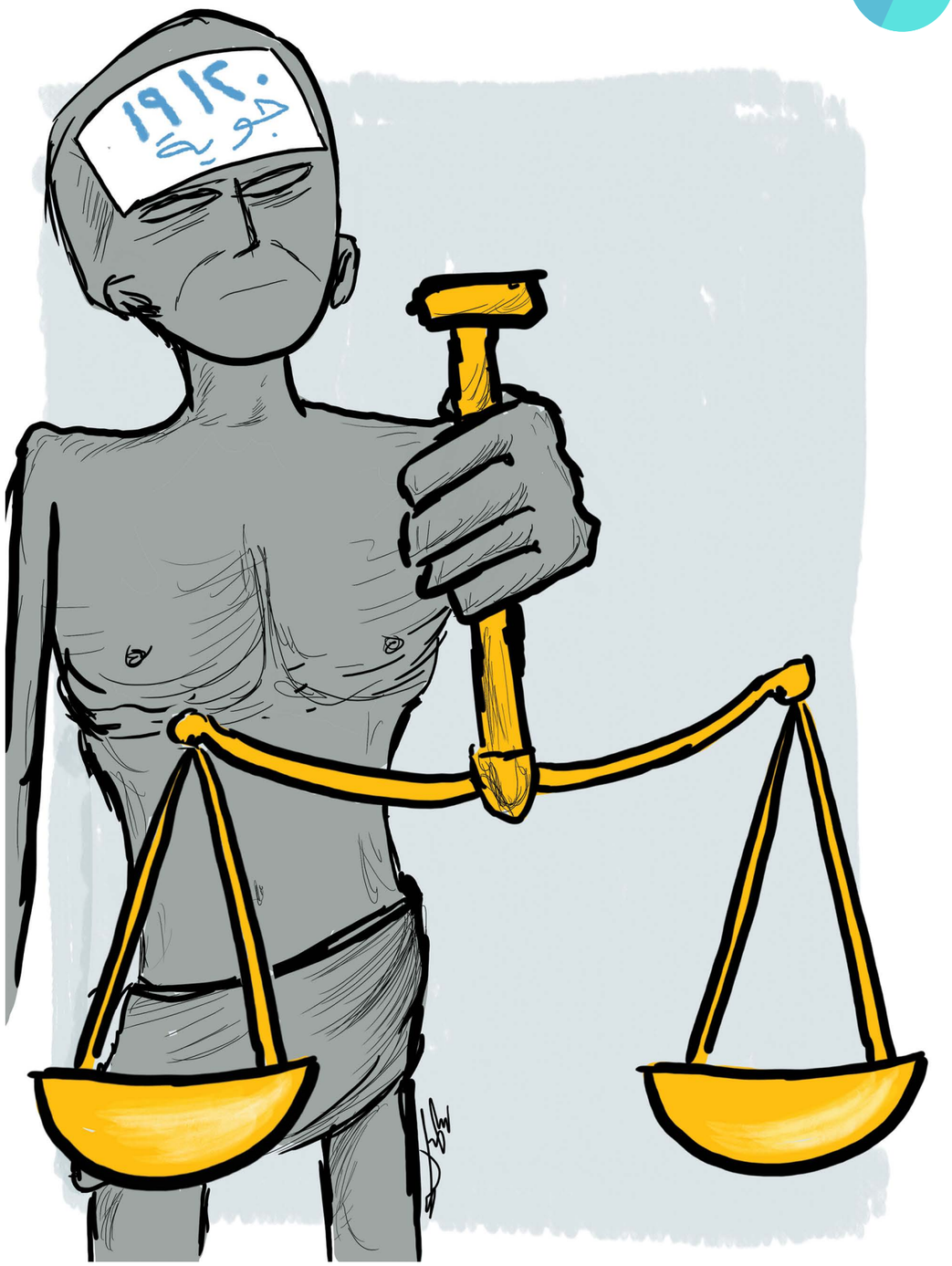

بين الدولة في اللغة والدولة في الجغرافيا

مرزوق الحلبي

الدول المتنفّذة بحاجة إلى مدى كبير من الاستقرار في مناطق وإقليم مصالحها الحيويّة كما تفهمها، ومثله من الفوضى كي تستتب لها الأمور. والنُخب المتنفّذة في داخل الدول تحتاج إلى هذه المروحة من الحالات بين استقرار وفوضى كي تفرض سؤددها وتتحقّق لها مصالحها. إذ لم يكن كلّها فمعظمها، وإن لم يكن مُعظمها فجزء منها.

هذه هي عمليًّا قوّة الدفع التي ترسم الأوضاع داخل الدول وبينها: الإرادة السياسيّة والعسكريّة التي تضمن المصالح وحميها. أمّا مفهوم الدولة بوصفها سلطة قانون وعقدًا اجتماعيًّا، فهي أقلّ أهمّية للقوى المتنفّذة، وإن كانت في منتهى الأهمّية بالنسبة للمواطن الفرد.

هذا ما يُمكننا أن نخلص إليه من رصد للتحوّلات في مفهوم الدولة، وتلك التي تشهدها العلاقات الدولية الآن وفي الماضي. كلّما ابتعدنا عن "نواة الدولة" و"فكرتها" الأولى في العصر الحديث -وكان ما يُشبهها في العصور الأقدم- كما صاغها هوبس وروسو ولوك -كعقد اجتماعيّ- وكما أكمل بناؤها الديمقراطيون والليبراليون كحالة قانونية ومواطنة وحقوق وحريّات، سنكتشف أنها فقدت وهجها، أو لم تعد هامة بقدر ما تخدم مصالح عابرة للحدود لقوى متنفّذة -اقتصادية بالأساس- ترى في الدولة أداة لتحقيق مصالحها، ولا يهمّ إذ لم تكن كذلك بالنسبة لمواطنيها وسكانها.

بمعنى أن سوريا مثلًا لا حصرًا، يُمكن أن تنتهي كدولة مواطنين، وتبقى على أنها جغرافيا من الموارد الطبيعيّة. وكذلك الكونغو أو ليبيا أو الصومال أو غيرها من مواقع في شبه جزيرة القرم والقوقاز وأرخبيل المحيط الهادي. إن لم نتحرّر من فهمنا التقليدي المحافظ للدولة، ومن تصوّراتنا الرومانسية لها ولدلالاتها، فسنظلّ نحكي ونكتب عن الدول بوصفها أوطاناً ما نحكيه ونكتبه منذ التحرّر من الاستعمار أواسط القرن العشرين. أو أننا سنظلّ على أمانينا وأوهامنا التي بنتها بالدم والتضحيات الجسام، حركات التحرّر القومي بشأن الدولة ووظائفها بالنسبة للأصلانيين والفئات المُستضعفة والمهمّشة.

"ستنتشلكم الدولة من القاع" قالوا للناس. "وستصير الدولة وطنًا، والوطن حضنًا دافئًا بعد أن سلبه الاستعمار وسلب موارده منكم"! منذ ذلك الحين مرّت فوق فلسطين والشام والعراق ووادي النيل أسراب لا تنتهي من الطيور المهاجرة. تغيّرت الدول على الأرض ألف مرّة، وإن ظلّت تُسمى دولًا في اللغة، وتعدّ راياتها في أعلى بناية الأمم المتّحدة في نيويورك!

تعمل كلّ القوى السياسيّة المعارضة والموالية في كل مكان، بما فيه المكان العربيّ، بوحي من فرضيات سوسيولوجيا الدولة الإقليمية/القومية. تمارس السياسة وتُنتج عقائد وموديلات ضمن هذه الحدود وتكرّس الخطاب ذاته بشأن مفهوم الدولة الكلاسيكي كأن شيئا لم يحصل، لا في الفكرة ولا في ممارساتها واحتمالاتها ووظائفها. علينا أن نعترف أن الدولة صارت أبعد، إذا صحّ التعبير. صارت أكثر استعصاءً، وهذه المرّة بسبب انقضاض قوى العولمة على المناطق السياسيّة الضعيفة لكن الغنيّة بالموارد الطبيعيّة والمصالح (خطوط ملاحة ومواقع استراتيجية لضمان نقل النفط مثلًا).

وقد تصير النُخب الوطنيّة هي وسيلة قوى العولمة للسيطرة ووضع يدها على دول وبلاد كاملة، أو جزء منها. أمّا تنادي بعض القوى الإقليمية أحيانًا لإعادة إعمار -سوريا والعراق وليبيا وأفغانستان مثلًا- هي نموذج لنهج رأسمال عالمي ينقض على الأزمات ويستثمرها مثلما يستثمر مواقع الاستقرار. وهناك نظريّة متكاملة في العلوم السياسيّة (مسجّلة باسم الأمريكية ناعومي كلاين) تتقصّى خطوات الرأسمال العالمي لاستثمار مواقع الأزمات، بما فيها تلك الكوارث التي تنجم عن كوارث طبيعيّة.

على السوريين -أو غيرهم- ألّا يواصلون انتظار الدولة التي لم تتحقّق لهم رغم الجلاء الفرنسيّ. عليهم التفكير ببناء اجتماعهم من الشرط الذي وصلوا إليه على أساس الذي تمنوه من نُظم ومضامين ودساتير وحريّات وحقوق. صحيح أن للدولة دورها الأساس في بناء الاجتماع، لكن في غيابها -وحيث استطاع الناس أن يفعلوا- على القوى الفاعلة أن تُنظّم الاجتماع، وتقوم بأوده ريثما يكبر ويكتسب مناعة.

يبدو لي أن الناس في كلّ العالم راهنوا على الدولة ووظائفها، ومُعظمهم خابوا، لا سيّما أولئك الذين خرجوا من نفق الاستعمار بتضحيات جسام. وقد آن الأوان ليُراهنوا على أنفسهم، ليس كحركة ضد الدولة، لكن كمرحلة مؤقّتة يحققون فيها اجتماعهم، وبعض حياتهم إلى أن يكتمل اقتدارهم. أن ينظّموا أنفسهم وحياتهم على كل مرافقها، وأن يؤسسوا ما لزم من نظام علاقات وقواعد إدارة في أصغر ضيعة وأكبر حاضرة، كي يكونوا وإن غابت الدولة.

سيكون عليهم -إذا ما حاولوا- أن يلعبوا مع العالم وقواه، أن يحاوروه ويصارعوه، فهو ليس عالمًا محايدًا البتّة. بمعنى أن على الإنسان الفاعل، والقوى الفاعلة، أن تتعوّد أنها فاعلة، ليس على مستوى وطن ومجتمع، بل على مستوى إقليم وعالم.

محاكمة كوبلنز بين الإنصاف والعدالة

جمال الشوفي

يقتضي القانون تحقيق العدالة محققاً جوهرها في الإنصاف الشخصي للمجني عليه، وتعميم العدل بين الناس مجتمعياً. العدالة لا تماثل الإنصاف؛ فالعدل يحتوي الإنصاف كإحدى أجزائه ومكوناته، ولا تكتمل بتحقيقه منفرداً. فالإنصاف يتمثل ببعده الشخصي والفردي، بينما تقيم العدالة مفهومها العام بالحق المجتمعي، وانعكاساته الإيجابية على المجتمع برمته. وحينها يقال العدل سيد بين الناس.

لم يعد ما هو مستغرب في المسائل السورية بعمومها، حيث باتت كل قضية فيها محط خلاف مدوٍ، سريعاً ما ينتقل لبعد سياسي أكثر حمولة من القضية نفسها، لا وبل يحرفها عن مسارها.

وقضية محاكمة كوبلنز المشهورة باسم المحكمة الألمانية التي أتاحت لها القوانين الألمانية الخاصة بإمكانية إقامة الدعوى القضائية بحق ضابط سوري قدمت فيه مذكرات الادعاء والشهود بارتكابه جرائم ضدّ الإنسانية، تسببت في إحداث حالات موت وتعذيب وحرمان من الحرية بدون وجه قضائي، والقيام بجرم الاغتصاب والإكراه الجنسي، أثناء ممارسة عمله كضابط سوري في الفرع 251 التابع للأمن العام السوري خلال الفترة من نيسان 2011 الى أن قرر ترك عمله أواسط العام 2012 وتوجهه بعدها بطريقة سرية للأردن ثم إلى ألمانيا ليقيم فيها لاجئاً.

الدعوى القضائية بادر بها فريق من الحقوقيين السوريين، وفي مقدمتهم المحامي أنور البني المشهور له بعمقه الوطني ودفاعه الطويل عن حرية الرأي والمعتقلين السوريين، والمعتقل لأكثر من مرة في السجون السورية بسبب مواقفه تلك، والذي قدم إفاداته وأدلته بأن الضابط أنور رسلان، محط الدعوى القضائية، كان قد أشرف على اعتقاله وتعذيبه سابقاً، كما قدمت الأدلة والبراهين بما يصل لـ 27 ادعاء وشهادة في مواضيع التهم الموجهة ضد رسلان، جعلت المحكمة بعد طول جلساتها تحكم بالسجن المؤبد عليه، والذي أتى في نص قرارها إدانة واضحة لجهاز الأمن السوري الذي ينتمي إليه رسلان، بهجومه الكمي على المتظاهرين السلمين السوريين، والكيفي من حيث منعهم من حق التظاهر والاحتجاج السلمي بإطلاق النار عليهم واحتجازهم دون مذكرات قضائية، ما أدى إلى تعذيبهم، وقتل الكثير منهم في أقبية المخابرات. وكون رسلان عضواً في هذا الجهاز، ويمارس عمله الوظيفي فيه، ومع أنه "لم يقم بتنفيذ الجرائم بنفسه بصورة شخصية، إلا أن هذه الجرائم يجب أن تتم نسبتها إليه بناء على ما كان لديه من سلطة التقرير وإصدار الأوامر" (مقتبسة من ترجمة نص قرار المحكمة).

ما إن صدر القرار حتى طفى على السطح السياسي موقفان سوريان متنازعان بحدة: الأول بأن الضابط كان مُجبراً على ما كان يقوم به أثناء عمله، وقد أعلن انشقاقه ما إن أتيح له هذا، وليت هذا الموقف توقف هنا، لتمت مناقشة قضية رسلان بين العدالة والإنصاف! لكن تناولت المواقف المحامي البني بأنه طائفي لانتمائه المسيحي! وأن الضابط سنيّ بالأساس، ويا لسخف ما وصلنا إليه من درك في التقسيم والتشرذم؛ فالبني أثبت طوال تاريخه أنه رجل وطني، وأنه يدافع عن السوري كسوري قبل أي انتماء له. وفي الجهة المقابلة، الضابط ذاته لم يكن بإمكانه إلا أن ينفذ الأوامر، وإلا تمت تصفيته بتهمة التفكير بالانشقاق، والتعاطف مع المتظاهرين، وفعلياً حين أتيحت له الفرصة ترك شغله، واختار اللجوء، ومع هذا فإنه غير بريء مما فعله سابقاً.

في الموقف الآخر برز التيار العلماني مدافعاً عن البني وموجهاً سهام نقده للتيار الإسلامي مرة أخرى ويحمله كل مآسي السوري في فشل ثورتهم وتحويلها إلى مقتلة كبرى، ودور هذا الضابط وأمثاله في الجرائم المرتكبة بحق السوريين. ويا لمأساتنا التي لم تنتهِ من الفرضيات لليوم!

وتعاد الكرة من جديد، يعاد طفو الانقسام الحاد بين تياري الأسلمة والعلمنة، وتتصاعد لغة التخوين المتبادلة بين الطرفين، وكأن انتصار أحدهما سينقذ باقي المعتقلين وسيحرر سوريا من بين براثن الأجهزة الأمنية وسلطة الاستبداد القائمة فيها. ولربما كان المعيق في انتصار الثورة هم العلمانيون الرومانسيون! يردد الإسلاميون. فيما تكر سبحة العلمنة أن الأسلمة والإسلاميون من خطفوا راية الثورة وساهموا في سحقها، وكأن الثورة كانت ستنتصر بالشعارات والمظاهرات السلمية، الموقف الذي حسمته السلطة مبكراً باتخاذها الحل العسكري الأمني في التعامل مع المتظاهرين والاحتجاجات السلمية، وكل الأدلة لليوم تشير لهذا، خاصة بعد تفجير خلية الأزمة السورية، وضرب مبادرة الجامعة العربية منتصف العام 2012، وتدويل المسألة السورية لتصبح موضع صراع دموي دولي كبير، وللأسف

بأيدي السوريين أنفسهم.

بالعودة لكوبلنز، يمكن القول بجدية إنها أنصفت شخصياً بلا شك أهالي المعتقلين والمعتقلات وضحاياهم في تلك الفترة التي كان فيها رسلان ضابطاً ومسؤولاً، لكن المحاكمة بذاتها لا ترتقي لبوابة العدالة، والتي لم يتحقق منها سوى الجانب الشخصي في الإنصاف، بينما الجانب العمومي المتعلق بالمجتمع لليوم لم يتقدم خطوة بعد، وهذا ما يجب أن يناقشه السوريون اليوم وكل يوم: كيف يمكن أن تتحقق العدالة في بعد مجتمعي، ما لم تتحقق الدولة وسيادة القانون؟ تلك التي أتاحت لألمانيا محاكمة رسلان، بينما لليوم لازالت سوريا بكل سورييها رهينة الاستبداد وتقاسم النفوذ العالمي والسطوة العسكرية وقوة الأمر الواقع؟ والسؤال الأهم كيف يمكن أن نخطو باتجاه العدالة الفعلية ما دام أصحاب المظالم أنفسهم يظلمون بعضهم البعض، ويصرون على تسييس كل قضاياهم بطريقة استقطابية متنافرة بين أسلمة وعلمنة، بينما تقتضي العدالة وسيادة القانون الهوية الوطنية أولاً قبل انقساماتها الأيديولوجية تلك، والتي تصر على تهشيم الإصرار الحقوقي على الإنصاف من جهة، وتهشيم حتى المواقف الجريئة لمن قرر ترك النظام.

حققت كوبلنز الإنصاف لعدد من السوريين في ألمانيا، وليت السوريين ينصفون بعضهم حين يحققون العدالة والإنصاف بآن لبعضهم! لربما أُتهم بالمثالية بهذا الموقف، لكني متيقن ما لم نتجاوز حدودنا الشخصية في الإنصاف الذاتي وحسب، ونعترف بأخطائنا الفردية السابقة واللاحقة، ونتقبل مسؤوليتنا عنها قضائياً وأخلاقياً، فإننا لن نخطو خطوة واحدة في إقامة العدل وسواده بين الناس بديلاً عن السياسة والتحزب والتسلط التي لا زالت تضيع مفهوم العدالة من جذره وتخلطه بين الأهواء والأيديولوجيات، ولسان حال الأعرابي يكرر من شدة ضحالتنا السياسية هذه: لم أمت ولكني رأيت الموت مراراً..

سوريا 2022.. المنزل ذو المدخل الواطئ

يوسف صادق

في قصة "المنزل ذو المدخل الواطئ" لإبراهيم صموئيل، يطرح صموئيل تلك العلائقية مع المكان وامتداداتها في الاجتماع والنفس، المكان كينونة تفصح عن نفسها، عن وجودها الذي نحياه.

لسان حال الشباب والسوريّين يقول: هذا ما جناه أبي عليّ!.. كلما حاولنا أن نتعايش مع هذا المكان، يصطدم الرأس بمدخله الواطئ كلما دخلنا أو خرجنا، ليكون الوجع حافزاً لسؤالين: كيف ندخل إلى سوريا الجديدة؟ وهل نستطيع إخراجها من أنفسنا؟ ما الذي جعل المكان الذي ارتأيناه للعيش المشترك مدخله واطئاً؟ حتى بات المكان مصدر الألم، كلما أردنا الامتداد فيه؛ في بيتنا سوريا.

كان البيت سوريا مكاناً للتعايش، دون اصطدام الرأس بما يحمله من دلالات أيديولوجية.

لكن الاصطدام بدأ مع النظام البعثي الأمني، حيث نصّب نفسه وصيّاً على الدولة والشعب، ليتصادم ساكنوا البيت حينما كرّس الطاغية فيهم كل أشكال التفرقة والتقوقع الإثني والطائفي، وبات الولاء لصاحب المنزل هو الولاء للبيت المسبيّ سوريا!

السؤال الآن كيف نعيد لبيتنا سوريا ذاك التعايش السلمي الحضاريّ، في بيئة مدنيّة تصون حقوق جميع مَن في البيت؟ ومن يفرض شروط هذا التعايش؟ هل هو الشعب المالك الحقيقي لهذا البيت، فيوسّع مدخله الواطئ.. أم هم مستثمرو الحرب في غرفه -بعدما لوّنوها بأعلامهم ومصالحهم- هم من يفرض شروط هذا التعايش؟

والأهمّ هو كيف نمحو آثار الخيبة والهزيمة والآلام لهذا المدخل الواطئ، بعد كل ذلك الدمار النفسيّ والمجتمعيّ، عدا عن دمار بنى الدولة الاقتصادية. يجيب البعض بإعادة الإعمار وعودة المهجّرين واستعادة الحقوق.. لكن من يفرض هذه الشروط، بعدما خرج شأن البيت من يد أصحابه؟ ومن "يتلو معاهدة الصلح" على حد قول درويش؟

كان الطوفان أعلى من ذاكرة الشباب.. سمعوا أو قرؤوا عن حربٍ ما، ولم يكونوا قد عرفوا من الغربة سوى بُعدها المكاني، وقد ظنّوا أنّ نوحاً عاد، وحينما امتدّ الموج بما يحمله من صراع، صارت البلاد جزراً.

أدرك الشباب أنّ ما سمعوه عن الثوب القشيب من المحيط إلى الخليج، والمطرّز حسب ما ادّعى سياسيّونا وكتبنا بجواهر التاريخ المجيد، وما لُقّنوا عنه حتى التخمة، لم يكن سوى جسداً ومكاناً أتعبته حكايات عنترة في مناهجهم الدراسية.

كلما أبحروا اصطدم الرأس بالمدخل الواطئ، وتغيّر مجرى الرياح وما تحمله من مصالح شتّى. نكّسوا أعلاماً ورفعوا أخرى، وابتعدوا عن شواطئ أرادوا أو حلموا بها يوماً، كلما فكروا بنوحٍ كانت الخشية من اصطدام الرأس بالمدخل الواطئ.

هنا أدركوا أنّ للغربة أبعاداً أخرى، فالمكان بات كينونةً عرجاء، وسوريا باتت لا بداية لها ولا نهاية؛ فالضياع يملأ الكينونة.

البعض استطاعوا الوصول بقواربهم إلى جزرٍ أخرى، فأدركوا تشابههم مع الآخر واختلافهم معه، رافعين الورود والماء راياتٍ، مدركين أنّ الغربة الجديدة تعدل بينهم، فارتضوا بعقل شقيّ بالصورة الشوهاء داخلهم وخارجهم. وتصالحوا معها مع المكان بوصفه ذواتهم بما ورثوا وبما كسبوا وبما هم قادرون على فعله، و(داريّا) شاهدة على ذلك.

لكن البعض غادر حلمه أو غادره الحلم في لجّة الأمواج والرياح، لم يكملوا دراستهم، ولم يبحروا. منهم مَن ارتضى بجزيرة تأويه، ورفع رايتها وهو يتحسّس رأسه من الاصطدام بالمدخل الواطئ، ووجدوا مبررات طالما لُقّنوا بها؛ فالسير بجانب الحائط أسلم! فارتفعت الجدران بينهم وبين الآخر، وبين أنفسهم، ليملؤوا ذواتهم بالطحالب، مردّدين أهازيج الأيديولوجيات العفنة، محاولين إثبات أنّ جزرهم هي عوالمهم، وما زالوا يرفضون سماع نداءات المياه، اعتادوا أن يحنوا رؤوسهم دائماً. فهم أُسراء المدخل الواطئ.

أمّا مَن سارت قواربهم بدون هدىً، فتقاذفتهم الأمواج والرياح حسب ما تحمله من توجّهات ومصالح، فوجدوا بالعبور كينونةً مهما كلّف الأمر، فجذّفوا حتى بأياديهم، وارتضوا أيّ رايةٍ ترفعها مراكبهم، إلى أن اكتشفوا أنهم كانوا وما زالوا ينقلون مسافرين بلا أسماء، تجمعهم صفات "شايلوك" وإن اختلفت أزياؤهم بين العسكرية أو الدينية أو الحزبية أو الفئوية، حينها أدركوا غربة أخرى، أدركوا ضياع الإنسان فيهم، أدركوا أنهم باتوا مجرّد أشياء أو أدوات، في امتداد المكان فينا بكلّ تشوّهاته، أدركوا أنّ الغربة مُركّبة لا تنفصل بين السياسية والاجتماعية والنفسية إلّا جدلياً، فالمكان مصاب بفصام الأزمنة منذ أيام عنترة، وحتى أيام صراع الديكة كما قال نزار.

منهم من حملوا المكان ولحقوا بجبران ورفاقه، فكانوا وما زالوا كثرٌ حاملين آلام اصطدام الرأس بالمدخل الواطئ، مثل كيٍّ أو وشم لا يُمحى من الذاكرة والوجدان، حملوا حلمهم ووطنهم في حقيبة، وافترشوا بها جدران غربتهم الجديدة. حالمين بوطنٍ قد يتحقّق، قد يشبه ما خرجوا منه، لن يستطيعوا إخراج سوريا من أنفسهم.. لكن أيُّ سوريا يريدون؟

وهنا غربة أخرى؛ بين الذات وتحقّقها في مكانٍ آخر قد لا يشبهها، وقد يشبهها بصوت النوارس المشترك في كل الشواطئ، فينسون كل شيءٍ من الكينونة الأولى إلّا آلامها وآثار الحرائق التي سبّبتها.

أمّا مَن جاهد ويجاهد للعودة إلى الشاطئ، فما زال يصارع بمجاديف يحاولون التعرّف عليها، يحاولون أن تكون امتداداً لأياديهم، لا تتحكم بها سلطة الأمواج والرياح.. وكم للأيديولوجية من سلطات! ما زلنا نحاول وعيها، بعضها يعود لسلطة الغزو في الصحراء، وآخرها يعود لسلطة الغزو في الفضاء، والأزرق يعمي العيون وينذر بالضياع، بل ينذر بالوهم، وإعادة تدوير سلطات الاستبداد فينا وفيما نفرش به كل مكان. فنكون أسراء الوهم الجديد.

طوبى لمَن ما زال يرى ما خلف الأكمة، ويميّز نداء البحار للمجهول من نداء السراب، ووعى أنّ غربته هي وجهٌ آخر لهويّته، وتحقيقاً لفردانيّته.

لتبقى الأسئلة مفتوحةً على تجارب الشباب، علّ نوحاً يُولد في كلّ مركب..

طوبى للشباب.. طوبى لبيتنا: سوريا.

آمال التغيير في واقع السوريين محرك التغيير القادم (2-3)

عبد الله شاهين

لعل الكلفة المادية للحرب السورية -والتي قاربت على نصف تريليون دولار أمريكي منذ ثورة -2011 هي الجانب الأقل فداحة من خسارة سوريا، إذا ما قورنت بالخسارة البشرية التي وصلت إلى فقدان أكثر من 606 ألف سوري أرواحهم [2] و13,5 مليون لاجئ ونازح، منهم 6,5 مليون سوري خارج الأراضي السورية. وكما أنه لم يتم إضفاء الطابع الإقليمي على الثورة السورية فحسب، بل تم أيضاً تدويلها إلى حد كبير، فكذلك الحال في انتشار اللاجئين السوريين المهجرين على كافة قارات المعمورة. وبالرغم من أن التغريبة السورية أصابت وتصيب بشكل أساسي سوريي الداخل، إلا أن الأدلة المتوفرة تشير إلى أن النزاعات الداخلية في أي دولة -وفي القضية السورية تحديداً- أثرت وتؤثر بشكل مباشر على حياة ورفاهية المغتربين على الرغم من كونهم بعيدين عن منطقة الصراع. هذا الواقع يجعل من الضروري رصد الدور الحاسم الذي سوف تلعبه مجموعات الشتات السوري، لا فيما يتعلق بالصراعات الداخلية فحسب، بل بمستقبل سوريا ما بعد الحرب.

العلاقة بين أنشطة الشتات في دول الصراع وديناميكيات ذلك الصراع في أوطانهم هي بعد يتم تجاهله إلى حد كبير في البحث وتحليل السياسات، على الرغم من أهميته الحاسمة. عادة ما يُذكر الشتات فقط في ملاحظات عابرة كعوامل سلبية في هذه العملية، كونها لا تعدو ضحايا لهذه الحرب أو مساندي ضحاياها الاقتصاديين، دون مزيد من النقاش. ومع ذلك فإن الأنشطة البعيدة المدى التي يقوم بها المغتربون لها آثار حاسمة على ديناميكيات الصراع في أوطانهم وعلى مستقبله في مرحلة ما بعد انتهاء الصراع المسلح. إن مجموعات الشتات هي إحدى القوى العالمية المعاصرة التي تشكل الاتجاهات والمآلات في القرن الحادي والعشرين.

لربما كنتم مثلي ممن أصبح أقل حماسة لأخبار الإنجازات السورية في دول المهجر، بين متفوقين في الدراسة، ونجوم صغيري الأعمار ساطعين في مجالات الأبحاث والعلوم والفنون والطبخ وغيرها. جزء كبير من هذه الإنجازات فردي ولازم الأثر إلى صاحبها، لا تأثير مباشراً له على باقي المجتمع السوري. لكن عدداً لا يستهان به من هذه الإنجازات -وإن أطّرناه بشكل فردي- إنما هو جزء من نجاح هذا الفرد السوري في التعاون والعمل مع فريق متنوع، وأدى هذا التعاون إلى إنجاز ننسبه نحن لهذا الفرد.

بنظري فإن إنجازات هذا الفرد تكمن في أمكنة أخرى؛ إحداها وصول هذا الفرد إلى درجة علمية أو احترافية كافية لتجعله يدخل في هذه التجارب الرائدة، من أنظمة الطاقة البديلة إلى الحوسبة والذكاء الصنعي والفنون والآداب والسياسة. لقد اكتسب السوريون مهارات ودرجات علمية لم يكن بالإمكان تحصيلها لولا انفجار هذه التغريبة المأساوية، وبالسخرية القدر! إلا أنه يبقى أحد شواهد قدرة عدد كبير من شباب هذا المجتمع على النمو والتأقلم وكسب الريادة على مستوى العالم.

أما ثانيها فهي كونه قد اكتسب خبرة ثمينة جداً في أسس العمل الجماعي تجعل من تكرار هذا العمل الجماعي في المستقبل أكثر قابلية للنجاح. هذه الخبرات تفوق غيرها في أهميتها بالنسبة إلى مستقبلنا نحن السوريين. إن تطور عملنا الجماعي بشكل عام -وإن ظل متواضعاً- ملحوظ. إن تحولنا من نظام شركات ومنظمات "أبو حميد" وأقربائه -الشكليي الوجود بكل حال- إلى مجموعات صغيرة من الأفراد يتشاركون القرار والمسؤولية هو أمر إيجابي، وما زالت أمامنا أشواط طويلة نقطعها في هذا المضمار، حتى نجد أنفسنا في يوم من الأيام قادرين على بناء تجمعات بشرية منظمة وموحدة، قادرة على اتخاذ خطوات يمكنها بالفعل تغيير مسار الأحداث.

علينا أن نطور طاقة بشرية بديلة لمجتمعنا الذي يخوض اليوم تجربة تغيير دموية، قد لا نعرف إلى أين تقودنا. لكن هذه الطاقة البشرية البديلة حتمية الأثر في حالنا المستقبلي.

نهاية أختم بجملة استوقفتني وأنا أبحث في هذا الموضوع، وأردت إيصالها إلى القراء الأعزاء. "لا تقتصر التحديات التي تواجه سيادة الدولة -على الصعيدين المحلي والدولي- على الجهات الفاعلة الخارجية، مثل الدول الكبرى والمنظمات الدولية. إنها تشمل أيضًا الشتات الذي هو "خارج الدولة" ولكن "داخل الشعب""*. هذا الإدراك يجعل من الضروري أن نقوم بالتخطيط الاستراتيجي لأنشطة الشتات -على المدى البعيد- في صياغة الخيارات السياسية التي سوف تقودنا إلى الأمن والاستقرار السياسي والحكم الرشيد في سوريا ما بعد الأسد. هنالك الكثير من الحروب والكوارث الإنسانية التي لم تكن مآلاتها إلى اليوم باعثة على التفاؤل، إلا أن هذا لا يفرض علينا أي أشكال من حتمية الفشل. على مجتمع الشتات حمل ثقيل شاء أم أبى. ولكن "تصغر في عين العظيم العظائم"**.

* Shain, Yossi, and Aharon Barth. 2003. "Diasporas and International Relations Theory." International Organization 57 (3): 449–479. doi: 10.1017/S0020818303573053

** من قصيدة المتنبي الشهيرة التي مطلعها: "على قدر أهل العزم تأتي العزائم".

تحرك أمريكي لكسر الجمود السياسي بين الأحزاب الكردية بسوريا

القامشلي: كمال شيخو

عقد نائب المبعوث الأميركي الخاص لسوريا ماثيو بيرل اجتماعات مع قادة الأحزاب الكردية وحثها على العودة إلى طاولة الحوار وحل القضايا الخلافية العالقة بين طرفي الحركة السياسية، والتقى بيرل خلال زيارته لمدينة القامشلي السورية في 9 كانون الثاني/ يناير الحالي قادة (المجلس الوطني الكردي) المعارض و(أحزاب الوحدة الوطنية الكردية)، وأكد خلال حديثه أن قوات الجيش الأمريكي والتحالف الدولي ستستمر في مهامها القتالية شرقي الفرات لمنع عودة تنظيم "داعش" واستمرار مكافحة الإرهاب، ولدعم الحل السياسي وفق القرارات الدولية الخاصة بحل الأزمة السورية، وتطبيق القرار 2254 والحفاظ على الهدن الإنسانية، وايصال المساعدات للسوريين ومنع التصعيد، والتزام واشنطن برعاية المفاوضات الداخلية بين أحزاب الحركة السياسية الكردية.

وطرح السفير الأمريكي خلال اجتماعاته حزمة أفكار وتصورات الخارجية الأمريكية لإعادة اللقاءات المباشرة من جهة، والعمل على تذليل العقبات لإعادة إحياء المباحثات الكردية بين طرفي الحركة من جهة ثانية، بهدف ترتيب الأوراق وتقريب وجهات النظر المختلفة، والعودة إلى الحوارات المتوقفة منذ عام و10 أشهر، لإكمال الرؤية الكردية، وإعلان اتفاق سياسي شامل وتوحيد الصف الكردي الداخلي، وتشكيل إدارة مدنية تمثل جميع مكونات المنطقة وكافة الأحزاب السياسية، وتحميها قوة عسكرية وأمنية مشتركة.

وناقشت الأحزاب الكردية في اجتماعها ثلاث سلال رئيسية خلال محادثات استمرت قرابة نصف سنة بين نيسان/أبريل وتشرين الثاني/ أكتوبر 2020، حيث اتفقت وقتذاك على سلة المرجعية السياسية بتقاسم المقاعد مناصفة بين قطبي الحركة الكردية، وترك

ثلث كهامش لباقي الأحزاب والمستقلين، في وقت اتفقت في سلة المشاركة انضمام (المجلس الكردي) في مؤسسات الإدارة الذاتية وشغل مقاعد أحزاب (الوحدة الكردية) بقيادة حزب الاتحاد الديمقراطي السوري، مناصفةً، واقتصارها على المناطق الكردية، والانضمام الى هياكل حكم الإدارة إلى حين تنظيم انتخابات عامة بعد عام من توقيع الاتفاق.

أما السلة الثالثة فكانت بند الحماية والدفاع، والتي واجهت صعوبات ومشاحنات كثيرة، وبقيت الأطراف متمسكة بمواقفها على مدار أشهر اللقاءات، وأبرز الخلافات تمحورت حول عودة واندماج قوات "البيشمركة" الكردية، وهي تعد الجناح العسكرية للمجلس الكردي، لكنها تنتشر منذ تأسيسها أوائل 2012 في إقليم كردستان العراق المجاور، وقد تشكلت آنذاك من منشقين أكراد عن صفوف جيش النظام السوري، وبينهم شبان رفضوا الالتحاق بالخدمة الإلزامية، وآخرون متطوعون من أبناء المناطق الكردية الموجودون هناك. ويقدر عدد هذه القوات نحو 15 ألفاً، موزعين على 7 آلاف يحملون السلاح ضمن الألوية والفرق العسكرية التابعة لوزارة الحربية والدفاع بإقليم كردستان، إلى جانب متطوعين يبلغ قوامهم حوالي 8 آلاف تدربوا على فنون القتال وحملوا السلاح أثناء هجمات مسلحي تنظيم "داعش" شمالي العراق.

وبحسب مصادر كردية مطلعة أن هذه الإشكالية بالغة التعقيد والحساسية نظراً لآلية عودة هذه القوات ودمجها في غرفة عمليات مشتركة، حيث تسيطر على المناطق ذات الغالبية الكردية "وحدات حماية الشعب" الكردية العماد العسكري لقوات سوريا الديمقراطية (قسد) التي تسيطر على معظم مساحة شرقي الفرات، وتتلقى الدعم من تحالف دولي تقوده واشنطن وتنتشر على طول الحدود مع تركيا.

وتشترط قوات "البيشمركة" اتفاقاً دولياً بين الدول الفاعلة المنتشرة شرقي الفرات قبل عودتها لداخل سوريا، وهذه القوات رفضت المشاركة في عمليتي

البقية في صفحة 12 ....

المواقع الأثرية بمدينة الرقة

تاريخٌ تضمحل ملامحه تدريجياً بعد سنوات الحرب

الرقة: عبد الله الخلف

بعد أن كان سوراً كبيراً يحيط بـ مصيف هارون الرشيد "الرقة" قبل اثني عشر قرناً أيام الدولة العباسية، أصبحت اليوم أجزاء منه مكباً للنفايات، وتدمرت بعض من جدرانه نتيجة القصف خلال معارك طرد تنظيم "داعش" نهاية عام 2017. ويوماً بعد آخر تغيرت ملامح سور الرافقة الأثري بمدينة الرقة، واتشحت بعض جدرانه بالسواد بسبب حرق أسلاك النحاس من قبل بائعي الخردة. وبالقرب منه وُضِعت سيارات محترقة وكومةٌ من الخردة وافتتحت محال ميكانيك ومغاسل للسيارات!

وقد تعرض سور الرافقة الذي يحيط بالمدينة القديمة لأضرار بليغة؛ حيث عمد عناصر تنظيم "داعش" إلى فتح ثلاث فوهات لربط الأحياء القديمة بمركز الرقة، الأمر الذي خلف أضراراً جسيمة في جسم السور القديم. ويعتبر هذا السور من أهم الآثار التي بقيت منذ حقبة العصر العباسي، وبقي شاهداً على أصالة الرقة وعراقتها.

يقول محمد اليوسف أحد سكان المنطقة التي يقع فيها السور شرقي الرقة، إنه صُدم عندما عاد للبلاد قبل سنة وشاهد ما حدث لملعب طفولته: "كان السور أجمل ما في الرقة، أما اليوم أصبح المشهد موحشاً ومؤلماً، أكوام من النفايات والخردة تحيط به، وحتى جدرانه أصبحت دفتراً للمراهقين يكتبون عليها".

الحالة السيئة التي وصل إليها سور الرافقة الأثري لا تختلف كثيراً عن باقي المواقع الأثرية في الرقة، مثل الجامع العتيق وقصر العذارى وقلعة جعبر وقلعة الرصافة وغيرها.. التي أهملت منذ بدء الحرب السورية قبل 11 عاماً، ورغم وجود مبادرات لتنظيف المواقع الأثرية وترميم أجزاء منها من قبل سلطات الإدارة الذاتية وبعض منظمات المجتمع المدني، إلا أنها "غير كافية ولا ترقى لمستوى الأضرار الهائلة في السور" وفق ما قال محمد العزو الباحث في الآثار.

ويشير العزو إلى أن مساعي ترميم آثار الرقة بطيئة للغاية وغير كافية، وأكبر شاهد على ذلك متحف المدينة، الذي كان يفترض أن يعاد افتتاحه قبل أكثر من سنتين، ولكن إلى الآن ما يزال مهجوراً، ويقول العزو: "كنت أمين المتحف لغاية اندلاع الحرب وسيطرة "داعش" التي حطّمت قسماً من القطع الأثرية، ونهبت قسماً آخر، وشوّهت اللوحات الفسيفسائية الأثرية في المتحف، ولكن بعد المعركة أين تلك الآثار؟ لم تعد موجودة.. معظمها سُرقت أو خُرّبت!".

أما باب بغداد، ويقع بالجهة الشرقية للمدينة، والذي بني على زمن الخليفة المنصور عام 772 ميلادي، وفي جواره يقع سور الرافقة المحيط بالمدينة القديمة، ويبلغ طوله قرابة 5 كيلو متراً، إلى جانب الجامع العتيق وسط المدينة، وهو مسجد أثري بني بالتزامن مع بناء سور الرافقة وباب بغداد، وتبلغ أبعاده 100 متر طولاً و98 متراً عرضاً، ولم يتبق منه سوى السور الخارجي وواجهة الحرم والمئذنة المبنية في عهد الدولة الزنكية.

وخلال سنوات الحرب تحولت ساحة الجامع العتيق لمقبرة جماعية أيضاً، ويقول عزت الموح مدير منظمة "رؤية" المختصة بالمواقع الأثرية في الرقة لمجلة طلعنا عالحرية إن الدعم لجهود إحياء الآثار خجولة للغاية، "للأسف لا يوجد اهتمام من البرامج المختصة بتمويل المنظمات لترميم الآثار في الرقة، ولكن حالياً هناك تواصل بيننا وبين منظمة فرنسية من أجل إطلاق مشروع لترميم عدة مواقع أثرية"، مضيفاً بأن تلك المناقشات مستمرة: "نأمل أن نحصل نحن أو غيرنا على دعم لترميم الآثار وإنقاذها في محافظة الرقة قبل أن يسوء وضعها أكثر".

وتقول نوال (45 سنة) التي تعمل مدرسة وتقيم في الشارع الذي يقع فيه المتحف، وقد عادت لمنزلها قبل 3 أعوام: "قبل 2011 كانت صالات المتحف تعرض لوحات فسيفسائية وتماثيل وآثارا تاريخية، إضافة إلى لوحات خزفية ومخطوطات قديمة، كان

البقية في صفحة 12 ....

العملية التعليمية في مدارس إدلب في غياب الدعم

بين الحاجة لجهود المتطوعين ونقص الخبرات

شمس الدين مطعون

في باحة إحدى مدارس ريف إدلب ينتظر المدرسون المتطوعون استلام المنحة الشهرية التي باتوا يتقاضونها مؤخراً من قبل إحدى اللجان الخيرية، والتي تبلغ 1000 ليرة تركية أي ما يعادل حوالي 70 دولار أمريكي.

يقول عبد الله وهو طالب جامعي يعمل كمدرس متطوع لمادة اللغة العربية للصف الخامس، إن إدارة المدرسة قررت خصم 100 ليرة من منحة كل معلم لتأمين بعض مستلزمات المدرسة من أقلام وأوراق امتحانية. ويوضح أنه رغم أن المعلمين يعملون كمتطوعين، إلا أنهم مضطرين للدفع من هذه المنحة، علماً أنها غير دائمة، وممكن أن تنقطع بأي وقت.

تفتقر المدرسة لمقومات الدعم، وتضم حوالي 350 طالباً من الحلقة الثانية (من الصف الخامس إلى التاسع)، و16 مدرساً وإدارياً يعملون بشكل تطوعي، بينما تقوم إحدى الجمعيات الخيرية بالبلدة على جمع التبرعات لتأمين منح رمزية للقائمين على تعليم أبنائهم. كما يدفع الطلاب مع بداية كل عام دولارين تقريباً لتأمين ثمن طباعة أوراق الامتحان.

يعيّن المدرسون المتطوعون عن طريق مديرية التربية في إدلب، عبر تكليفهم بعدد معين من الحصص، واختيار المادة التي سيقومون بإعطائها.

يقول محمد طالب كلية التربية ومدرس لمادة اللغة الانكليزية لطلاب الصف الثامن بإحدى مدارس بلدة سرمين، إنه التحق بالمدرسة بعد أن وصله طلب من المدير، يوضح حاجة المدرسة لمدرس إنكليزي، وأنه قادر على تدريس المنهاج. ويضيف أنه احتاج لبعض الموافقات الشكلية من مقر مديرية التربية في إدلب، ويوضح: "لم أصطحب شهادتي الثانوية معي، كما أنني لم أظهر أي وثيقة تثبت قدرتي على التدريس، وسار الطلب بشكل طبيعي، وبدأت التدريس في اليوم التالي".

اضطر محمد للتدريس بالمدرسة لشهرين متتاليين دون الحصول على أي أجور، وحصل في الشهر الثالث على منحة 500 ليرة تركية فقط.

في حال أصبحت المدرسة مدعومة من قبل أحد المنظمات سيتم التخلي عنه، واستبدال خريج متخصص به، يقول محمد: "إلى أن يتم دعم المدرسة، سأبقى في التدريس لتأمين بعض مصاريف الجامعة".

يمتلك مدرس اللغة العربية أبو دياب (48 عاماً) محلاً لبيع الألبسة المستعملة، ويعمل فيه بعد انتهاء دوامه بالمدرسة وفي أيام العطل. يقول أبو دياب: "1000 ليرة تركية، هي كل ما أتقاضاه عن تدريس 30 حصة أسبوعياً". ويوضح أن لديه رقم ذاتية مسجلاً لدى مديرية التربية كأصيل (أي معلم مثبت)، إلا أنه لم يتقاضَ أجراً ثابتاً، منذ بداية عام 2020، وذلك بعد انقطاع الدعم عن المدرّسين في محافظة إدلب، نتيجة إيقاف دعم الاتحاد الأوروبي، واقتصاره على مدارس الحلقة الأولى.

يضطر أبو دياب لمتابعة مهنته بعد عشرة أعوام على اشتغاله بمهنة التدريس، بأجور متدنية وبسلة إغاثية توزع أحياناً عن طريق مديرية التربية، خشيةً من أن يتم فصله في حال توقف عن الدوام لمدة شهر واحد.

من جهته يوضح محمد عتيق معاون مدير التربية في محافظة إدلب لطلعنا عالحرية أن عدد المعلمين المتطوعين بالمدارس التابعة للمديرية يتراوح بين 5500 و6000 مدرس، وقد تعاقدت معهم المديرية بصفة مدرس متطوع، وفي حال كان المدرس المتقدم خريجاً، يتم تثبيته كمدرس أصيل، ولكن دون أجور.

ويضيف عتيق أن شروط قبول المتطوع هي نفسها شروط قبول المكلف أو الوكيل.

وتقدم المديرية منحة سنوية لمرة واحدة للمعلمين المتطوعين من صندوق التطوع التابع للمديرية، والذي تُجمع فيه تبرعات خيرية، كما تساهم بعض المنظمات أو الجمعيات بمساعدات خجولة، في حال وجدت.

وبحسب العتيق فإن مدارس الحلقة الثانية تعاني من انقطاع كامل للدعم باستثناء بعض المدارس المدعومة من منظمات محلية، بينما تدعم منظمة مناهل مدارس الحلقة الأولى بأجور معلمين تتراوح بين 150 إلى 170 دولار أمريكي شهرياً.

تكلّف مديرية التربية موجهين مختصين لمراقبة سير العملية التعليمية في المدارس التابعة لها، والتي يبلغ عددها 1200 مدرسة تقريباً. ويقتصر عمل الموجهين على المراقبة وتسجيل التقارير، والتي غالباً لا تحدث تغيرات جذرية، حتى وإن كان هناك خلل في طرق التدريس والتعامل مع الطلاب، حيث تفتقر المدارس لعشرات المعلمين، ورغم حاجة المدارس الملحة للمدرسين هي لا تستطيع أن تقدم له أي مقومات تشجعه على متابعة التعليم.

يروي مدير إحدى المدارس على أطراف مدينة إدلب لطلعنا عالحرية مفضلاً عدم ذكر اسمه، أن بعض الطلاب في مدرسته، اشتكوا من أن أحد المدرسين يتكلم بألفاظ نابية بحقهم، وأحياناً كان يعتدي عليهم بالضرب. ويتابع المدير إنه قام بتسجيل صوت المدرس ليتأكد من شكوى الطلاب، وقد تحقق من الأمر وعرض التسجيل الصوتي على الموجه الموكل من التربية لمراقبة سير العملية التعليمية. لكن الإجراء الذي اتخذ بحق المدرس -والذي يعمل كمتطوع- هو أن قامت التربية بنقله لمدرسة أخرى، تعاني من نقص بعدد المدرسين!

تحرك أمريكي لكسر الجمود السياسي بين الأحزاب الكردية بسوريا

.... تتمة من صفحة 8

"غصن الزيتون" التركية آذار/ مارس 2018 و"نبع السلام" في تشرين الأول/ أكتوبر 2019 وهي ليست جزءاً من الائتلاف المعارض أو "الجيش الوطني" التابع للحكومة المؤقتة، والذي يخوض حروباً مدمرة في المناطق الكردية.

وتبقى عودة هذه القوات مرهونة بتوافر ثلاثة شروط رئيسية؛ أولها التوصل إلى اتفاق كردي- كردي شامل، يتضمن ملف الدفاع والحماية، على أن تكون شريكاً حقيقياً برعاية أميركية، أما ثانيها فهو وجود مظلة دولية بإشراف أممي وموافقة كل من موسكو وواشنطن، وثالثها شرط عدم دخول جيوش دول إقليمية، سيما الفاعلة في الحرب السورية مثل تركيا وإيران، داخل المناطق التي ستنتشر فيها.

يذكر أن الأحزاب الكرية أعلنت صيف 2020 التوصل إلى "خريطة طريق سياسية" برعاية الخارجية الأمريكية تضمنت مرحلتها الأولى تشكيل مرجعيّة سياسيّة من إطارين: "حركة المجتمع الديمقراطي، وحزب الاتحاد الديمقراطي السوري من جهة؛ وأحزاب المجلس الكردي المعارض من جهة أخرى، وأحزاب خارج هذه الأطر على أن تكون نسبة كل طرف 40%، و20% لباقي الأحزاب والشخصيات المستقلة، ليصار إلى تشكيل لجنة مشتركة لوضع آليات انضمام أحزاب المجلس الوطني إلى مؤسسات وهياكل الإدارة الذاتية في المرحلة الثانية، وإعادة صياغة العقد الاجتماعي ووثائق الإدارة بما ينسجم مع التطورات والأحداث وتحقيق شراكة فعلية لهذه الجهات بالهيئات التابعة للإدارة، وتوحيدها سياسياً وإدارياً، والعمل من أجل توثيق تمثيل مختلف المكونات الأخرى، وتأسيس لجنة مشتركة من المرجعية لدمج القوات العسكرية في مرحلتها الثالثة، ورفض وجود أكثر من قوّة عسكريّة في المناطق الكردية.

غير أن هذه الخريطة لم تبصر النور بانتظار عودة الفرقاء السياسيين من الأحزاب الكردية لطاولة الحوار، وإكمال ترتيبات وحدة الصف، وتشكيل وفد كردي للمشاركة في المحافل الدولية الخاصة بسوريا.

المواقع الأثرية بمدينة الرقة

تاريخ تضمحل ملامحه تدريجياً بعد سنوات الحرب

..... تتمة من صفحة 9

مكاناً يضم بين أجنحته تاريخ الرقة"، أما اليوم فناء المتحف بات شبه فارغ والقطع الأثرية الموجودة لا تساوي تلك التي كانت معروضة فيه قبل اندلاع الحرب.

ويقع متحف الرقة في مركز مدينة الرقة وتبلغ مساحته نحو 811 متراً مربعاً، وهو عبارة عن بناء من طابقين وحديقة خلفية صغيرة. وقد كان يتألف الطابق الأرضي للمتحف من بهو للدخول وأربع صالات للعرض وغرفة إدارية، فيما كان يتألف الطابق الأول من 6 صالات للعرض وغرفة إدارية، بالإضافة إلى صالة استقبال مركزية.

من ناحيته يقول زرادشت عيسو مدير مكتب الآثار في الإدارة الذاتية إن ترميم المناطق الأثرية بحاجة لخبرات كبيرة، وكوادر بشرية وميزانيات مالية هائلة، وهذا ليس متوفراً لدى الإدارة، كونها ما تزال إدارة ناشئة محلية على حد قوله، ليزيد: "كل اهتمام الإدارة منصب على المشاريع الخدمية والمعيشية والصحية والتعليمية، ونحن أعددنا دراسة من أجل القيام بصيانة إسعافية للمواقع الأثرية المهددة بالانهيار"، كاشفاً في حديثه لمجلة طلعنا عالحرية أنهم لا يمتلكون القدرة بمفردهم على ترميم جميع تلك المواقع: "سابقاً كانت الحكومة السورية تلجأ للبعثات الأجنبية في أعمال الترميم بشكل دوري سنوياً، وهذا غير متاح حالياً بالنسبة لنا، نأمل أن يتم تقديم دعم من دول التحالف الدولي وإرسال بعثات أجنبية لمساعدتنا".

وبحسب المديرية العامة للآثار والمتاحف في حكومة النظام السوري فإن قرابة مليون قطعة أثرية في سوريا سُرقت، كما تعرضت نحو 710 مواقع أثرية لأضرار تراوحت بين ضرر جزئي أو اندثار وتهدم كامل.

توقف الدعم عن عدة مشافٍ في إدلب

يزيد معاناة المرضى والعاملين في المجال الصحي

علي الدالاتي

تقف أم محمد بالقرب من المخيم الذي تعيش فيه في ريف إدلب، بانتظار سيارة توصلها لمدينة حارم لتراجع مشفى المدينة في زيارة قد تكون الأخيرة، بعد توقف الدعم عن المشفى التي تتعالج به، مما ينذر بإغلاقه. أم محمد التي تعاني من ألم الغربة والنزوح، والفقر، وكذلك المرض، يضاف اليوم لجعبة آلامها فقدان العلاج. تقول أم محمد لمجلة طلعنا عالحرية: "مع بدء الكلام عن إغلاق المشفى الذي يعالجني أفقد آخر بصيص ضوء لي بالعلاج؛ كون لا قدرة لي على الذهاب للمشافي البعيدة أو لزيارة طبيب خاص أو مشفى مأجور.

وبحسب بيان صدر يوم 12 من كانون الثاني عن فريق "منسقو استجابة سوريا" إن 18 منشأة طبية تقدم خدماتها لأكثر من مليون ونصف مليون من سكان شمال غربي سوريا انقطع عنها الدعم، في أزمة جديدة تضاف إلى العديد من الأزمات التي تعاني منها المنطقة.

كما حذر الفريق من توقف الدعم عن المنشآت الطبية، وخاصة مع ازدياد الضغوط على المنشآت الأخرى، وعدم قدرتها على تقديم الخدمات لجميع السكان في المنطقة، خاصة مع احتمالية موجة جديدة من فيروس كورونا المستجد قد تشهدها المنطقة.

مشفى حريتان الخيري للنسائية والأطفال هو من المشافي التي توقف الدعم عنها. وبحسب مدير المشفى الدكتور أديب عبد الرحمن أن سبب توقف الدعم عن مشفى حريتان هو قلة التمويل من قبل المانحين للمنظمات الإنسانية المحلية. ويتابع الدكتور عبد الرحمن: "رغم توقف الدعم عنهم، فقد قرر كادر المشفى استمرار العمل ضمن إمكانيات محدودة، حتى انتهاء المخزون من المحروقات اللازمة لمولدات الطاقة الكهربائية والتدفئة، والمستهلكات الطبية" ويستدرك: "ولكن نحن مضطرون لإيقاف العمل بالمشفى بعد انتهاء مقومات سير العمل من كلف تشغيلية ومحروقات و أوكسجين ومستهلكات طبية".

الدكتور سالم عبدان مدير صحة إدلب قال لمجلة عالحرية إنه "خلال الربع الأخير من العام الماضي توقف الدعم الإنساني المقدم من المانحين الدوليين عن 13 مستشفى في محافظة إدلب، كانت تستقبل 50 ألف حالة مرضية شهرياً، تستفيد من الخدمات الطبية التي تقدمها تلك المشافي"، وأضاف إن "المشافي تعمل حالياً بشكل تطوعي بدون أجر، ولكن بالحد الأدنى بانتظار عودة الدعم، للعودة للعمل بالطاقة القصوى".

وأكد د. عبدان بأن أثر توقف الدعم عن المشافي "سيكون كارثياً؛ فالأهالي في هذه المنطقة أكثر من 80% منهم تحت خط الفقر، بالتالي هم غير قادرين على مراجعة المشافي الخاصة أو حتى المشافي الخيرية التي تكون عادة ذات أجور رمزية".

وعلى وقع تحذيرات الجهات الطبية من مخاطر انقطاع الدعم وتبعات ذلك على حياة سكان شمال غرب سوريا، انطلقت حملة مناصرة على مواقع التواصل الاجتماعي بعنوان "ادعموا مشافي الشمال" بهدف لفت نظر العالم إلى المأساة التي ستنتج عن إيقاف الدعم عن المشافي، وبحسب ما قال الناشط فايز الدغيم لمجلة طلعنا عالحرية، وهو أحد المشاركين بالحملة إن عشرات الناشطين السوريين المدنيين والعاملين في الشأنين الإنساني والطبي في شمال سوريا وحول العالم ساهموا بإطلاق هذه الحملة من أجل المشافي في الشمال السوري، وذلك "بعد توقف الدعم المقدم لعشرات المشافي بشكل تام، وتخفيض الدعم عن مشافٍ أخرى في كل من حلب وإدلب" كما أكد الدغيم أنه "في حال استمرار توقف الدعم عن المشافي فنحن أمام كارثة صحية وإنسانية رهيبة، ستهدد حياة حوالي أربع ملايين مدني يعيشون في شمال غرب سوريا".

كما شملت الحملة وقفات من الكوادر الطبية والناشطين، تدعو لإعادة الدعم، كما قام الرسام عزيز الأسمر برسم لوحة غرافيتي لنفس الغرض.

وسبق أن أصدرت "لجنة الإنقاذ الدولي" (IRC) تقريراً يكشف التأثير الواسع والمدمّر لعقد من الهجمات الممنهجة على المرافق الصحية وعلى المدنيين في سوريا، وأوضح التقرير التأثير المدمر الذي أحدثه تدمير نظام الرعاية الصحية في البلاد، على قدرته للاستجابة لوباء كورونا المستجد.

وبحسب تقرير اللجنة، فقد غادر حوالي 70 في المئة من العاملين في القطاع الصحي البلاد، فيما باتت النسبة الآن طبيب واحد لكل 10 آلاف سوري.

وينص القانون الدولي الإنساني على حماية المرافق الصحية والعاملين الصحيين، وعلى الرغم من ذلك، وثقت منظمة "أطباء من أجل حقوق الإنسان" 595 هجومًا على مرافق صحية في سوريا منذ عام 2011.

ونتيجة ذلك، لا تعمل أكثر من نصف المستشفيات السورية بشكل كامل بسبب الهجمات، وصار حالها يرثى له، مع عدم استعدادها لتغطي حاجة البلاد وتقديم الرعاية الصحية لـ 12 مليون سوري، والتعامل مع آثار كورونا، الذي أصاب بالشلل أقوى أنظمة الصحة في العالم.

الخيام التعليمية.. بديلاً عن المدارس! وملاذ أطفال نازحين من الجهل

دارين الحسن - إدلب

في طريق وعر متعرج، ورغم البرد والطين والأحوال الجوية السيئة، يمشي الطفل سليم الحجي (10 سنوات) النازح من ريف إدلب الجنوبي، كل صباح إلى مخيم آخر برفقة أخته ريم التي تصغره بعامين، لتلقي دروسهما في الخيمة التعليمية، ويؤكد الطفل أن المخيم الذي يقطن به يخلو من أي مركز تعليمي، الأمر الذي يفرض عليه وعلى بقية أطفال المخيم معاناة مضاعفة.

يقول سليم: "نزحنا من منازلنا ومدارسنا منذ أكثر من سنتين، ولا زلنا نصر على متابعة تعليمنا، لكننا نقطع مسافات طويلة، ونضطر للخروج باكراً من المخيم حتى لا نتأخر عن دوامنا المدرسي في المخيم المجاور".

فرضت الحاجة إلى التعليم في مخيمات الشمال السوري، ظهور ما يعرف بـ"الخيام التعليمية"، التي أصبحت ملاذاً وحيداً لأطفال المخيمات، على الرغم مما تعانيه الكوادر التعليمية فيها من صعوبات كبيرة في تأمين الرواتب الشهرية، والتجهيزات اللوجستية وغيرها من احتياجات العملية التعليمية.

معلمون دون رواتب

يعمل العديد من المعلمين بشكل تطوعي بسبب غياب الدعم عن معظم الخيام التعليمية، ومنهم من يضطر لترك المهنة، فيما يفضل آخرون العمل بمهن إضافية لتأمين احتياجات أسرهم.

مروان الرحال (36 عاماً) معلم نازح من مدينة سراقب إلى مخيم في بلدة كللي بريف إدلب الشمالي، يعلم الأطفال في المخيم منذ سنتين دون أن يحصل على أي راتب لقاء عمله، وعن معاناته يقول لطلعنا عالحرية: "بعد نزوحي من مدينة سراقب إلى هذا المخيم، بدأت بتعليم الأطفال لسدّ النّقص في الكادر التعليمي، فعلى الرّغم من ضيق العيش نحرص على تعويض أطفال المخيم عن بعض ما فقدوه في مأساة النزوح، ونحاول التكيف مع مآسي الحرب، وتلافي النقص في مقومات العملية التعليمية بإمكانيات بسيطة".

ويشير الرحال إلى أنه لا يتقيد بالمنهاج في تعليم الأطفال، ولكنه يركز على المواد الأساسية؛ وهي القراءة والكتابة والحساب، ويؤمن ثمن أقلام السبورة والقرطاسية من تبرعات أهالي المخيم.

ويؤكد الرحال أن عمله تطوعي حتى الآن، دون أن يحصل على أي راتب أو منحة مالية، رغم أنه معيل لأسرة مكونة من ستة أفراد، ما اضطره للعمل في بيع مستلزمات الهواتف الجوالة في خيمته لتحصيل لقمة العيش في ظل الغلاء والنزوح.

الازدحام وغياب التجهيزات

يعاني المعلمون والتلاميذ في الخيام التعليمية من الازدحام والضجيج، إلى جانب النقص الكبير في الكتب والمقاعد والقرطاسية والوسائل التعليمية.

المعلم وليد الحسن (41 عاماً) نازح من معرة النعمان إلى مخيم في بلدة كفرعروق شمال إدلب، يعلم هو وثلاثة معلمين آخرين أطفال المخيم، ويضطر لصنع الوسائل التعليمية بنفسه، ويقضي بعد عودته إلى المنزل وقتاً طويلاً في إعدادها.

"يصعب إيصال الأفكار والمعلومات لطلاب الحلقة الأولى دون وسائل مساعدة من عبارات ورسومات وصور، لذلك أقوم بإعدادها بنفسي في المنزل" يقول وليد.

ويضيف: "الخيمة رغم صغرها، تضم أكثر من 40 طفلاً، وكلهم يجلسون على الأرض لعدم توفر المقاعد، ومنهم من يظل واقفاً، كما يعانون من البرد وعدم توفر وسائل التدفئة، ما يدفعهم للتوقف عن ارتياد الخيمة التدريسية في الأيام الماطرة والباردة".

الطفلة لين العمر (12 عاماً) نزحت مع أسرتها من بلدة كفرنبل، تبين أن الخيمة القماشية لا ترد الأصوات القادمة من الخارج، والآليات المارة بجانب الخيمة، ما يعيق استيعاب الدروس بشكل جيد، موضحة: "نأمل أن تصمد هذه الخيام في وجه الحر والبرد، وأن نتمكن من تخطي المصاعب لنستمر بالدراسة حتى نحقق أهدافنا في الحياة".

أطفال تخلّوا عن التعليم

الكثير من الأطفال تركوا مقاعد الدراسة بعد النزوح، وتوجهوا نحو أسواق العمل، لمساعدة أسرهم في تأمين مصاريف المعيشة.

ماجد السرميني (11 عاماً) فضل بعد نزوحه من بلدة خان السبل إلى مخيم كللي، ترك الدراسة والتوجه للعمل في مهنة تصليح الدراجات النارية، وعن سبب ذلك يوضح: "لا أستطيع الدراسة في ظل الازدحام والضجيج، وسوء الوضع التعليمي داخل المخيم، لذلك فضلت العمل لمساعدة والدي في تأمين احتياجاتنا".

احتياجات غائبة

الموجه التربوي محمد المصطفى (45 عاماً) من مدينة إدلب، يعتبر أن التعليم حقّ لكل طفل مهما كانت الظروف، وأولوية حتى في ظل الحرب، مطالباً المنظمات والمؤسسات التعليمية بدعم التعليم في مخيمات النزوح لإعادة الطلاب إلى مقاعد الدراسة التي حرموا منها.

يتحدث لطلعنا عالحرية عن احتياجات العملية التعليمية في المخيمات: "تعاني الخيام المدرسية من غياب الدعم المادي وقلة عدد المعلمين ونقص الخبرات والكفاءات العلمية. وتحتاج المخيمات لتأمين جميع مستلزمات العملية التعليمية؛ بدءاً من إنشاء مدارس بدل الخيام القماشية، وتأمين الرواتب الشهرية للمدرسين، والقرطاسية والحقائب للطلاب والمعلمين، إلى جانب احتياجات الشتاء من وقود ومدافئ".

ويشار أن نسبة انقطاع الأطفال عن التعليم في مخيمات النزوح بإدلب بلغت 59% بحسب آخر إحصائية لفريق "منسقو استجابة سوريا" بتاريخ 4 تشرين الثاني/ نوفمبر من العام الماضي، فيما تبلغ نسبة العجز في قطاع التعليم 61% ضمن مخيمات النزوح.

ولا يزال الأطفال يدفعون الثمن الأكبر للحرب التي حرمتهم من أبسط حقوقهم، في ظل الإجهاد الكبير الذي يعاني منه قطاع التعليم ونقص التمويل، والعجز عن تقديم تعليم مناسب ومستدام لآلاف الأطفال.

سعياً لتحسين أوضاعهم.. معلمو إدلب يتجهون لمهن بديلة

هاديا المنصور

لم يتوقع المعلم سامر الإبراهيم (30 عاماً) أن يتخلى عن مهنته في التدريس ويتجه للعمل في معمل لكبس البلوك يوماً ما، غير أن صعوبة الحياة وضيق الأحوال المعيشية المصحوبة بقلة دعم المعلمين، وتوقف رواتبهم في كثير من الأحيان دفعته مرغماً إلى ذلك.

"شو جبرك على المر غير الأمر" هكذا عبر المعلم سامر عن استيائه من واقع التعليم في إدلب، والذي أجبر معظم المعلمين على التدريس بشكل تطوعي ودون أجر في كثير من الأحيان/ ما دفعهم للبحث عن مهن بديلة شاقة وخطرة.

بينما يتصبب العرق من جبينه بعد أن بدأ بإعداد الخلطة الأساسية لصنع البلوك، يقول: "رواتب المعلمين قليلة وهي لا تتعدى ما يعادل 120 دولاراً أمريكياً في أحسن حالاتها، هذا إن توفرت، في حين أن الغلاء الحاصل، وخاصة مع تدهور الليرة التركية أمام الدولار الأمريكي، جعلت رواتب المعلمين لا تؤمن نصف احتياجات عوائلهم الشهرية".

ويتابع: "حين يدخل المعلم صفه لإعطاء الدرس وهو يفكر بكيفية تأمين رغيف الخبز لعائلته، وكيف سيوفي ديونه المتراكمة، ليس كمن على يقين بأنه سيحصل على أجر لائق في نهاية الشهر، وهو ما يؤثر على أدائه وعطائه، ما ينعكس على مستوى التعليم بشكل مؤكد".

واتجه عدد كبير من معلمي إدلب لمهن متعددة كالبناء والحدادة والنجارة والتجارة وغيرها، لتأمين احتياجاتهم التي لم تكن رواتبهم في السلك التعليمي لتؤمنها لهم.

تأثير على الطلاب!

ولم يسلم الطلاب من نقص دعم المعلمين، حيث اتجه عدد من الأهالي لصرف أبنائهم عن المدارس، بحجة عدم وجود تعليم حقيقي، وبعضهم الآخر ممن يمتلكون إمكانيات جيدة اتجه للتعليم الخاص.

الطالب فؤاد الحج علي (12 عاماً) اتجه للعمالة في إحدى ورش الميكانيك بعد تسربه من المدرسة، فهذا "أفضل من المدارس هالأيام" على حد تعبيره.

ويشرح فؤاد أنه كثيراً ماكان يذهب إلى المدرسة ليعود خالي الوفاض، بعد تغيب المدرسين بشكل متكرر، فيقضي وقته باللعب مع زملائه في باحة المدرسة، ثم ينطلق كل منهم إلى شأنه، ولذا وجد في العمالة مستقبلاً أفضل، فهو على الأقل يؤمن له مصروفه الشخصي، ويكسبه مهنة يواجه بها صعوبة الحياة.

متمسكون بالتعليم.. مع مهنة أخرى

من جهتها لم تشأ المعلمة حليمة السكري (40 عاماً) أن تنهي رحلتها في التدريس، رغم توقف الدعم في كثير من الأحيان، وتقول: "التعليم مهنة مقدسة وعلينا جميعاً أن نتحمل العبء للنهوض به ما أمكن".

مشيرة إلى الوضع المادي السيئ للمعلمين: "الذين باتوا غير قادرين على تأمين متطلبات عوائلهم، ويعملون بشكل تطوعي، ومع ذلك فهم يقاومون تلك التحديات ما أمكن" كما توضح.

تعتمد المعلمة حليمة على مهنة أخرى غير التدريس، وهي بيع الألبسة المستعملة (البالة) في منزلها بعد انتهائها من دوامها في المدرسة، وذلك بغية تأمين مصروف عائلتها المؤلفة من زوجها المريض بالقلب وأبنائها الخمسة.

مغادرة الصف

أما عن المعلمة صفاء الزعرور (28 عاماً) فهي لم تتردد بمغادرة سلك التعليم والالتحاق بوظيفة أخرى في إحدى منظمات المجتمع المدني، لتعمل كمسؤولة مراقبة وتقييم؛ حيث الرواتب المغرية والدوام الأسهل والأقل عناءً على حد وصفها.

تقول صفاء: "يجب أن نكون واقعيين، فنحن في النهاية بشر وبحاجة لتغطية نفقاتنا ومصاريفنا لنتمكن من أداء مهامنا دون مشاكل، لا شك أن مهنة التعليم هي مهنة إنسانية ونبيلة، ولكن المثالية لا تجدي مع الظروف المأساوية التي يعيشها السواد الأعظم من الناس، في ظل الفقر والنزوح والغلاء".

وكان معلمو إدلب نظموا وقفة احتجاجية أمام مبنى مديرية التربية في إدلب العام المنصرم، تنديداً بانقطاع رواتبهم. ورغم استمرار احتجاجاتهم لمدة شهرين متواصلين إلا أنهم لم يجنوا سوى وعوداً بتحسين أوضاعهم، مع بقاء الواقع المتردي على حاله.

من جهته أكد الأستاذ محمود الباشا، مدير دائرة التعليم الأساسي في مديرية التربية في إدلب، أن نقص الدعم يؤثر على جودة التعليم ولم يصل إلى المستوى المطلوب، مضيفاً: "يبلغ عدد المدرسين في المنطقة 20 ألفاً، بينهم 5500 مدرس يعملون بشكل تطوعي، وهناك أكثر من 60 منظمة تدعم التعليم في محافظة إدلب، وهو ما يؤدي لتفاوت في أجور المعلمين".

وفي محاولة لإنقاذ التعليم ومساعدة المدرسين في تأمين رواتب لائقة، أطلق ناشطون في إدلب حملة على مواقع التواصل الاجتماعي تحت عنوان"ادعموا تعليم إدلب" للمطالبة بتحسين التعليم في شمال غرب سوريا، وشدد القائمون على الحملة على أن التعليم يشكل المفتاح من أجل تحسين ظروف الأطفال، ويقضي على ظواهر العمالة والزواج المبكر والتجنيد، ويسهم بمحو الأمية، وإنشاء جيل متعلم واع ومثقف قادر على النهوض ببلده ومجتمعه.

رسائل على هيئة لهاث (خطوتان إلى الخلف)

حسين الضاهر

راودتني فكرة كتابة هذه الرسائل، أو لنقل بشكل أدق: هاجمتني؛ فعلاقتي مع الكتابة مؤخراً باتت تشبه التائه في غابة مظلمة، في حين تتربص بهِ أنياب المفردات.

هللويا!!

أرأيتم؟ أستطيع التفوه بعبارات كالتي يطلقها المثقفون وهم معلقون من ربطات عنقهم على المنصات.

تعالوا لأخبركم الحقيقة، بالطبع إن كنتم ترغبون بذلك، وإن لم ترغبوا فبإمكانكم الآن منذ هذه اللحظة إتمام اللا شيء الذي تفعلونه بعيداً عني، أو ربما ستذهبون إلى المطبخ بخطى متثاقلة لتعدوا وجبة خفيفة أو ثقيلة أو ربما ستكسرون عنق زجاجة نبيذ لأنكم ببساطة لا تمتلكون مفتاحها. من يدري؟

لكن إن أكملتم القراءة، سأقول لكم: إنني بحاجة للكتابة فقط لأسدد فواتير حياتي المتراكمة منذ العصور الغابرة، وأيضاً لكي أسدد لكمة في صدغ هذا الفراغ المتوحش، لأشتري مفتاح زجاجات، لأحصل على ثياب جديدة وعلى أكبر عدد من التفاعلات في وسائل التواصل

الساعة الثالثة فجراً

ها أنا أجوب الشرفة كملدوغ، أدخن سيجارة أخيرة، فعلبة سجائري فرغت كتابوتٍ في عصر الخلود، والمدينة في الخارج نائمة كعادتها تحتضن أبنائها برفقٍ، ترضعهم السكينة كلما طرق باب نعاسهم كابوس طارئ، بينما تنثر رماد الأرق في عينيّ. أعلم أنكم ستتوقفون عند الجملة الأخيرة وتصرخون بملأ أفواهكم: تباً ما هذه السخافة!!

نعم، لكنني لا أملك الآن إلا هذه الصورة المستهلكة. سامحوني.. ولنكمل.

فكرة التدخين على الشرفة لم تكن من ابتداع عقلي، ولا تقليداً لسكان العالم الأول الذين يؤثرون رئات أطفالهم وأزواجهم على رئاتهم المتفحمة؛ بل هي فكرة صديقتي التي ارتأت في هذا الفعل تقليلاً من عدد السجائر التي بت أنفث دخانها كقطار كهل. فهي تعلم مدى كسلي، كما تعلم أني لن أكمل ما تبقى من أيام عمري مصلوباً على الشرفة كتمثال لإله المدخنين. هكذا أتشارك مع من أحب المطبات التي تعترض القطار الكهل، ودائماً يجدون لي طرقاً سالكة لأتخذها، ومنها كتابة مثل هذه الرسائل.

عزيزتي السيدة (....)

مضت شهور على أول حديث دار بيننا، وللعلم، أذكرها لحظة، لحظة، بكل ما فيها من عبثية واتزان، بكل البهجة التي داهمت روحي المتنصلة من جوقة الببغاوات الهائمة في الخارج، وبكل الطعنات التي انتظرنا التفات أحدنا إلى جهة شروق العالم لنغدر به ببضع كلمات.

أذكر جيداً حين قلتِ بصوتكِ الخزفي: تعال اقترب أريد أن أهمس في أذنك كلمة واحدة. كنتِ ماهرة في الإيقاع بعصفور مبلل ومطرود خارج السرب، أو ربما هذا هو المصير الذي ينتظر كل من يؤمن للحظة بعدالة الحياة في توزيع مقادير الحب.

أذكر حين احتفلت الأرض بمجيئكِ، بينما كنت أطرق أبواب المدن بحثاً عن أحد يجيد كتابة اسمك على قلادة أو على قالب حلوى، اسمكِ الذي يبدأ دائماً بهمزة تفرّ كلما حاولتُ إمساكها.

أذكر طعم الدم في فمي، ولسعات الدمع على جلدي، ولا أذكر طعم قالب الحلوى؛ فقد أهديته لكل طفلٍ سمع عن الحب ولم يتذوقه.

يا امرأة من زئبق!

لا يحب؛ من يمتلك الوقت لانتقاء المفردات عندما يحادث نصف قلبه.

لا يحب؛ من يستطيع التفريق بين المنطق والوهم.

لا أدري، هل أطلق على تلك الشهور اسم ابتسامة أم سكين؟ قد تكون كلا التسميتين صالحتين، فهكذا هو الحب؛ يستفيق على هيئة قبلة رطبة، ويغفو كرصاصة يابسةٍ في منتصف القلب.

لم أكن أرغب بلمسة يدٍ تحيل قلبي طائراً ممسوساً بداء البهجة.

لم أرغب أن تقطعي الكون مشياً على قلبكِ، ولا على قدميكِ الصغيرتين؛ كي تقدمي لهذا المحاصر بين خريفين رائحتكِ على طبقٍ من ربيع.

لم أحلم بحب يتحدث عنه الشعراء في قصائدهم، والمجانين في نوبات صرعهم، والعمال في أوقات استراحتهم، والمشاهدون في لحظات الفاصل الإعلاني.

لا، لم أنتظر رسالة صباحية تطرق قرنيتي الهرمة، ولا فنجان قهوة برفقتكِ «في حته بعيدة».

أتدرين؟

لم أعد أقوى على نصب الفخاخ للإيقاع بعصافير المسافة، سأدعها تموت ببطء كما في أيامها العادية، بينما سأجلس كعادتي خالياً من كل شيء أقشر القصائد وألقمها للمارة؛ كلمة، كلمة.

خلف هذا الجدار أنتِ وأرض تدور حول نفسها وحول

لوحة للفنان التشكيلي ديلاور عمر

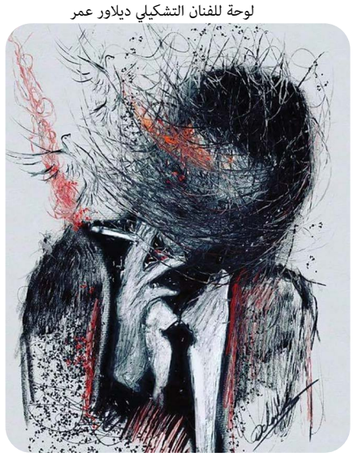

الشمس، أتلاحظين معي؟ حتى أرضنا العظيمة تحتاج شيئاً تلهث حوله؛ لذا لا تشعري بالسخط كلما تتبعتكِ كقطٍ جائع.

لدي الآن متسع لكتابة كثير من هذا الهراء، وللموت مثل شاعر أخرق؛ كأن أتجرع شريط حبوب الاكتئاب المركون أعلى الخزانة دفعةً واحدة، بعد أن أكتب رسالة خرقاء أرثي فيها جثتي، وأشتم عبثية الحياة وأتذمّر، لكنني لن أفعلها اليوم فما زال في قلبي مساحة عشبية للعبة الحب.

البارحة أيضاً، حين أرسلت إليكِ جزءاً من هذه الكلمات؛ لم أنتظر منكِ أن تسفحي رقبة السوء الذي وجد متسعاً له بيننا، لأنني علمت أنكِ أتلفتِ قوارب العودة، وأحرقتِ كل ما يمت إليّ بصلة.

بصراحة؛ ما عاد الأمر مهماً، فالأيام كفيلة بترميم أيّ كيان متصدع.

ولن أكابر الآن بالقول إنني عاكف على إصلاح ما خلفه غيابكِ، فقد أسلمت نفسي للحزن بكامل أهليتي وجنوني، وأظن أن هذا الفعل سيضمر هو الآخر مع مرور الأيام، أو ربما سيتبدد بفعل ضربة مباغتة تغير مجرى حياتي البائسة.

ها أنا أستمر في الكتابة وبمراقبتكِ، أراقب الصور التي تحاولين الظهور فيها مبتسمةً دائماً، ومن حولكِ أشجار تعدو في مكانها، وفراشات تمارس أدوارها الثانوية على أفضل ما يرام، وزهور تكاد تخرج عن النص من فرط نضارتها.

قد يكون المشهد سعيداً في رأي العابرين، أنا الوحيد الذي يلتقط حزنكِ من جميع المشاهد.

هامش: لا تفكري فيما كتبت، فقط حاولي أن تحشري قلبكِ الآن في إحدى الزوايا؛ من المؤكد أنه سيعضكِ وستتألمين.

الاستثمار في جروح البشر

بشرى البشوات

"مقاهٍ صينية "على الطراز السوري" تحقق شعبية في الصين"؛ ويقصد بالطراز السوري البيوت المدمرة، الخرسانات والأسمنت، وظهور واضح وصارخ للون الرمادي؛ الذي يعني بأن ثمة قصف مرّ من هنا.

لا يبدو مستغرباً، وإن كان مؤلماً، أن تجد من البشر من انقاد بشهوة الربح إلى أن يستثمر، ليس فقط في الحطام السوري المتعلق بما حلّ بالبنية التحتية والسكنية، لا بل البشري جملة وتفصيلاً في مستوى ما يتصل حتى بأعز مواطن الروح والوجدان.

ليس القصد هنا حمية وطنية فقط تريد أن تتفجع على ما حلّ بالوطن السوري، بل هي حمية إنسانية تريد أن تتساءل عن المصير الأخلاقي والإنساني والقيّمي للبشرية على هذا الكوكب، تريد أن تشاغب، بل وتتمرد على هذه البشرية التي لم تعد تخجل من عبوديتها. حضارتها الكئيبة التي لم تعد تنتج سوى التشويق والإثارة واللذة، بوصف أن هذه جميعاً ما سوى وجوه أخرى للألم والسأم والرتابة؛ فليس ثمة لذة دون أن يقابلها ألم، وليس ثمة إثارة بلا سأم، كما لا تشويق بلا ملل.

وما كل ذلك في المآل سوى وجوه لهذا العقل الحزين والأناة الشقية، بوصف أن هذين الأخيرين أكبر ثقبين في الكون الإنساني، حين لفظنا كئيبين ومشوهين وحزينين، بل متوحشين ومجرمين، سفاحين وتجار حروب، لنا من إرادة الهيمنة ما يكفي لدمار العالم، وقد فعلنا ذلك حقاً بنسبة كبيرة، ومازال في جعبتنا ما يكفي لسحقه نهائياً ولعدة مرات، كل هذا ولم تخجل البشرية مما هي عليه، فهل سيخجل بعض المستثمرين في الصين أن يستثمروا في "نمط الحطام السوري"!

انتقاء مجحف

نسأل الصحفية السورية خلود حدق عن هذا الخبر، وتجيب: "تفاعلت مع الخبر بسخرية، فهو المضحك المبكي أن يصبح الدمار طرازاً سورياً بعدما اشتهرت سوريا بالطراز المعماري الفريد على مدى التاريخ، وتميزت بأنواع عديدة من الديكور، وأهمها الدمشقي بكل تفاصيله من ديكور وأثاث..

أمّا أن العالم لم يعد يرى من سوريا سوى الدمار ليتخذه طرازاً، فهذا مجحف كثيراً في حق سوريا وسخرية من مأساتها".

الرائع!

بالطبع ليس كل الصينيين يرون في الحطام السوري ديكوراً للزينة، ومنهم الكثيرين الذين يخجلون من ذلك، ويذكرون بالحطام الزلزالي (ستشوان) الصينية، وأسلوب تشنغتشو لحطام الفيضانات، وربما يوجد في العالم الكثيرون ممن قد يرغبون بمقاربة الحطام السوري على أنه ديكور للزينة، بالمناسبة ثمة في ميدان الجماليات مايعرف بمفهوم "الرائع" لا بمعنى الجميل والحسن والمدهش، بل بمعنى المفزع والمروع والمريع، ربما أسلوب الحطام يحيل بصورة مباشرة إلى مفهوم الرائع بالمعنى الذي سبق ذكره، ولكن ليس حين يرتبط هذا المريع الجمالي بجرح شعب.

تكريس البشاعة

ولدى سؤالنا الشاعرة والمترجمة نور نصرة، علّقت: "من المؤكد أن رواج فكرة المقاهي التي تجسد واقع الحرب السورية في الصين أمر جارح بالنسبة لنا كسوريين؛ أولاً كوننا تألمنا وتأذينا من هذه الحرب من جهة، وكوننا اعتدنا أن تكون سوريا حاضرة كما كانت على مر التاريخ بكامل أناقتها الحضارية والتاريخية، لهذا فإن هذه المقاهي أشبه بتكريس بشاعة وقباحة وجه الحرب الذي نعمل على مسحه أو ترميمه قدر الإمكان، على الأقل على الصعيد الثقافي والبصري. من جانب آخر، إذا ما أردنا أن ننظر إلى هذه الظاهرة من نطاق أوسع ونحاول أن نحلل سبب نجاحها في المجتمع الصيني، سنجد أن السبب ليس في غرابة الفكرة، بل في تراجع القيم الإنسانية عموماً وتعامل الفرد بطريقة افتراضية لكل ما يدور حوله، بل وابتعاده عن القيام بدور إيجابي حتى من الناحية الفكرية والأخلاقية فيما يخص قضايا الحروب".

الجمال والابتكار في عصر الاتصالات

"الجمال نوع من أنواع العبقرية، بل هو أرقى من العبقريّة، إنه لا يحتاج إلى تفسير، فهو من بين الحقائق العظيمة في هذا العالم، إنه مثل شروق الشمس، أو انعكاس صَدفة فضيّة نسيها القمر على صفحة المياه المظلمة" (أوسكار وايلد في روايته "صورة دوريان جراي").

يأتي الجمال بشقيّه الطبيعي والمعاد تصنيعه.

التدخّل البشري في ابتكار أصناف وتصميمات، لم يكن البشري يتخيّل بأنها ستكون عامل جذب في يوم ما، وتتصدر في عصر الاتصالات محركات البحث، للتأكد بأن ما كان حطاماً يوماً ما، تحوّل في مكان ما في أقصى الكرة الأرضيّة إلى حالة فنية مبتكرة وغريبة، تحقق شعبيّة متزايدة وتخبرنا بأن الخيال الحر وحده، قادر على خلق أعمال إبداعية جديدة، بعيداً عن التقليد الذي يعتمد على محاكاة الأشياء القديمة والمعروفة.

الخيال الحر يصنع إبداعًا حسب الفيلسوف "كانط".

الابتكار ولكن ضمن قواعد الفن والجمال.

الاستثمار في جروح البشر

هذا ما يقذف بنا إلى قلب السؤال عن النهاية، كيف نزلت البشرية إلى هذا الدرك، وكيف يتحول الجرح البشري مادة دعائية في الفضاء السيبراني.

يجب تجذير الإشكالية وتصعيد السؤال؛ فالموضوع وإن اتصل بالسوريين، لكنه بنكهة الفضيحة البشرية في مستويات جمالية وأخلاقية وقيمية وإنسانية، تحول الهامش التراجيدي السوري إلى متن كوني بأبعاد تراجيدية.

ترتفع أصوات كثيرة في الجانب الآخر تقول بأن السوريين أنفسهم أكثر من استثمر واستفاد من مآلات الوضع السوري، وبأن السوريين أنفسهم تكسبوا من ذلك، وابتعدت قضيتهم كثيراً عن منحاها الإنساني وأخذت بعداً آخر، تمثّل بالتربح والتكسب من جراء ما حلّ ببلادهم (كتّاب، مخرجون ، صحفيون، شعراء، تجار..).

الكل حاول أن يمد يده حتى ببركة الدم واقتطع لنفسه قطعة!

تضيف خلود حدق: "لا يحق لأحد أن يتخذ المأساة السورية أداة للتسويق لفنه، سواء كان سورياً أم غير سوري، لأن الفنان الحقيقي هو من يحمل رسالة فنية مقدسة، ويحاول لفت النظر لأي حالة و/ أو مأساة وتصويرها بأسلوبه، ولفت نظر العالم إليها من خلال فنه، والأهم هو تأريخها، لأن الفن هو عنصر أساسي في تأريخ الحقب الزمنية، بدليل أننا عرفنا الكثير عن حضارات كثيرة اندثرت عن طريق ما خلفته تلك الحضارات من رسومات ومنحوتات وعمارة".

هذه المقاربة لا تتفجع على الحطام السوري، بل تريد الإشارة إلى المنحنى التصاعدي للحطام الإنساني، ولم تفقد الأمل بالبشرية التي عليها أن تشكر الهاوية الفسيحة التي مازلنا نواصل السقوط فيها، لنؤمن في آخر المطاف بضرورة التحرير، تحرير البشرية من نفسها.

حديث في الفنّ والحريّة

ياسمين نهار

حين رأيت صورة عازف الكمان "ديجو فرازو تركواتو" أيقنت كيف تختزل صورة ألف معنى. وأوّل سؤال تبادر إلى ذهني هو: لماذا لم تجد غبطة العزف والإيقاع مستقرّاً لها في عينيّ هذا الطّفل البريء؟ حين بحثت عن قصّة "ديجو" أدركت أنّه ينتمي إلى بيئة تنام على الجوع، وتنتشر فيها الجريمة انتشار النّار في الهشيم، وليس هذا فحسب فقد كانت لـ "ديجو" حصّةٌ وافرةٌ من أمراض تناسلت في بيئته الفقيرة المتخلّفة. وقد التقطت الصّورة له عندما كان يعزف مقطوعة محبّبة لمعلّمه المتوفّى "إيفاندرو دي سيلفا جاو"، ونرى "ديجو" في الصّورة يبكي معلّمه الذي أنقذه من بيئة العنف، وعلّمه العزف على الكمان. إذ نتأمّل هذه الصّورة نشعر أنّ هطل الدّموع قد تجاوز حدود إطارها، ويبدو لي أنّ الحبّ والموسيقا نقلا حياته من حيّز العنف والجريمة إلى فضاء الفنّ والإنسانيّة.

نعم، الفنّ غيّر حياة الطّفل، والموسيقا أعطته أملاً لمواجهة اللوكيميا والتهاب السّحايا الذي عانى منه منذ الصغر؛ وما هذه النّقلة النّوعيّة إلّا نتيجة لجهود معلّمه المعطاء أمام دوّامة الحرب والاستبداد والفوضى.

في بلادنا يحقّ لنا أن نتساءل: هل يمكن أن يتنازل الفنّ عن دوره في حمل شرارة التّغيير؟ هل يذهب إرث المبدعين ورسائلهم المحرّضة على الجمال والتّجدّد والحياة الحرّة أدراج الرّياح، كما يعلن المتشائمون الذين أعلنوا نهاية الحاضر، وسدّوا كلّ بصيص أمل قد يأتي من المستقبل؟

ربّما يتراجع دور الفنّ لتكون الغلبة في مرحلة ما للسّلاح والفوضى، لكن لا يمكن إيقاف الخيال المبدع أو تقييده؛ لأنّ الخيال حركة يصعب ضبطها. ذلك أنّ الإنسان منذ القدم واجه أخطار الطّبيعة بالفنون، وحين رقص وعزف ورسم على جدران الكهوف كان يحاول أن يعبّر عن قوّته أمام جبروت الطّبيعة، فكان الفنّ وسيلته للانتصار على مخاوفه وتحدّي المجهول.

والحقيقة أنّ الفنّ الحقيقيّ لا يصوّر الواقع كما هو، بل يقدّم صوراً جديدة للعالم توسّع حدوده، وتعكس غنى تجربة المبدع وتعدّد منابعها. المتلقّي أيضاً يتواصل مع العمل الفنيّ، يضيف إليه خبرته وحصيلته الثّقافيّة. هكذا ينتج المبدع عالماً جديداً. وكلّ متلقّ يعيد إنتاجه من جديد.

وفي ضوء ذلك يحقّ لنا أن نتساءل: لماذا يُحجَب دور الفنّ ورسالته المحرّضة المغيّرة في بلادنا؟ لماذا تُحاصر المواهب الخلّاقة وتمنع من الخروج إلى النور؟

للإجابة عن هذين السّؤالين يمكننا أن نتوقّف عند الدّور السّلبيّ للرقيب السياسيّ أو الاجتماعيّ أو الدينيّ.. إلخ.. حين يفرض القيود المعوّقة للإبداع. ذلك أنّ الحرّيّة تعدّ الشّرط الأوّل والأساسيّ لتطوّر الفنون؛ فالحريّة تمكّن المبدع من التّجديد وطرح أسئلة جديدة تبعده عن التّنميط المملّ. وفي ظلّ انعدام الحريّات يتراجع الإبداع ويهيمن التّوظيف السياسيّ الأيديولوجي على الفنون. وغير خاف علينا ما تسببه الأيديولوجيا من تضييق على الفنون، حين تحصرها في إطار الحدث اليوميّ الزّائل، بينما الأدب والفنّ العظيمان يهدفان إلى دخول الكوني والمدار الإنساني العامّ؛ والارتقاء باليوميّ ووضعه في مصافّ الكونيّ الباهر؛ لأنّهما يعتبران إرثاً إنسانياً يبحثان عن معنى الوجود ويثيران الأسئلة المقلقة. ومن نتائج انعدام الحرّيّة أيضاً سيطرة الماضويّة على الفنون الكتابيّة ولاسيّما الشعر. والماضويّة تعني الارتباط بنموذج جماليّ قائم في التراث يفرض إيقاعاً جماعيّاً واحداً، وهذا الإيقاع المشترك يعيق بروز فرادات الإبداع؛ لأن مهمّة الكاتب تقتصر على محاكاة نموذج ثابت دون محاولة الانطلاق خارج حدوده.

إنّ الشّعر وفق هذا المنظور أكثر الفنون تأثّراً بالماضويّة، لأنّ إبداع اليد عبر العصور أكثر حريّة من إبداع اللسان وفق رأي النقّاد. ولا يكون الحلّ إلّا بإطلاق الحريّات، ولاسيّما حريّة الذات المبدعة في التّفكير والتّعبير والتجريب الدّائم.

وليس عجباً أن يتراجع الفنّ، وتخفت رسالته العظيمة حين نرى ما تعانيه الفنون بمختلف أنواعها من هشاشة في مضامينها، وعدم كفاية أدواتها في عدد غير قليل من نتاجاتها. هذه المعاناة تضع المبدعين والنّقاد أمام مسؤوليّة النهوض بها لتصبح في مصافّ الفنون العالميّة.

وممّا لاشكّ فيه أنّ الفنّ ينحدر حين يعامل كسلعة تراعي متطلّبات السوق وقانون العرض والطلب. ودليلنا على ذلك مشهد الدراما العربيّة الغارقة في تفاصيل الجسد وحاجاته، وإثارة شهيّة المشاهد نحو حياة استهلاكيّة لا تتجاوز ترف المسكن والملبس، مع سطحيّة الطّرح، فلا تتعدّى هذه الدراما العرض السافر لحياة مبتذلة، ليس لها من أعماق الإنسان نصيب، ولو كان ضئيلاً. فما أقلّ الأعمال القادرة على تناول مشكلات الإنسان المعاصر تناولاً عميقاً؛ بدءاً من مشكلاته المعيشيّة وانتهاءً بمشكلاته الوجوديّة.

وقد يكون من المفيد الإشارة إلى واقع الرّواية العربيّة وما تعانيه من استهانة بالكلمة واستخفاف بكفاية أدواتها. ومن اللّافت للنّظر التّشجيع الكبير الذي تلقاه الرّواية على حساب بقيّة الأجناس التّعبيريّة من قبل المؤسّسات الثّقافيّة في بعض الدّول، بالإضافة إلى تخصيص الجوائز المجزية لكتّابها، ممّا أدّى إلى توجّه عدد كبير من الشّعراء وكتّاب القصّة إلى الرّواية لتصبح الرّواية "ديوان العرب الجديد".

أمام هذا الإنتاج الرّوائيّ الضخم علينا أن نعترف بقلّة النّتاجات القادرة على ارتياد آفاق سرديّة جديدة، وتقديم تجربة أغنى وأعمق من التّجارب التي عشناها، أو التي يمكن أن نعيشها. ولا يعني ما تقدّم التّقليل من أهميّة الرّواية وعوالمها الرّحبة التي يمكن أن تتسع لتستوعب جميع الأجناس التّعبيريّة؛ ما نريده أن يستمرّ نهر الإبداع العظيم في التّدفق، وألّا تنضب روافده، التي تشكّل الرّواية رافده القادر على مواكبة روح الحياة واندفاعها واحتدامها، ويمكن أن نجيز لأنفسنا عدّ الشّعر رافده الأهمّ؛ لأنّ تراجع الشّعر يعني تخلّيه عن دوره في تفجير إمكانات اللّغة وطاقتها الخلّاقة.

وبالنتيجة كلّ المعوّقات السّابقة تشكل حواجز تعيق تقدّم الفنون التي عبّر الإنسان من خلالها عن أحاسيسه ومشاعره وما يؤرّقه من أسئلة. وحين يضطلع الفنّ بمسؤوليّته الكبرى دون عوائق يستطيع أن يحدث الأثر المرجوّ.

ولا بدّ من أن نذكر هنا الأثر الكبير للفنّ في حياة عازف الكمان، ذلك أنّ الموسيقا أنقذته من مستنقع العنف والجريمة الذي يغرق فيه أقرانه كلّ يوم؛ بعبارة أخرى الفنّ في حالة "ديجو" بنى وعياً مختلفاً، وخلق إنساناً جديداً. ربّما يكون "ديجو" أوفر حظّاً من أبناء جلدته، لأنّ الظّروف أو الصّدفة هيّأت له من ينقذه من بيئته المتخلّفة؛ ليصبح رمزاً من رموز مكافحة الجريمة والمرض.

بهذا الفهم نستطيع القول: إنّ العنف المضادّ -مهما بلغت قوّته وتعدّدت أشكاله- لا يستطيع أن يجتثّ جذور العنف والتّطرف والجريمة في أيّ مجتمع؛ الحلّ يكون بإطلاق الحريّات، وتفعيل دور المؤسّسات، وتأمين فرص العمل لجميع المواطنين، بالإضافة إلى رفع سويّة التّعليم ليكون قادراً على بناء جيل مختلف. حينها لا نقضي على العنف والجريمة فحسب، بل نشهد تفتّح المواهب الخلّاقة التي توقظ الإنسان الجميل الكامن في أعماق كلّ منّا.